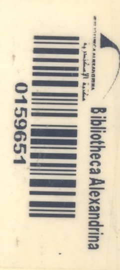
توفيق الحكيم

قالبنا المسرحي

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٩٢٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة



توفيق الحكيم

قالبنا المسرحي

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها [illegible]
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٩٢٠٨٦٨

المطبعة النموذجية
٣ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

DL

— ٥ —

كتب المؤلف نشرت فى لغة اجنبية

شهرزاد	ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الاكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل ايدسيون لاتين) وترجم الى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك فى عام ١٩٤٥
عودة الروح	ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالانجليزية، نشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢
يوميات نائب فى الارياف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ وترجم الى الاسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ وترجم ونشر بالالمانية عام ١٩٦١ وبالرمانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١
اهل الكهف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الاستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم الى الايطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالاسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦
عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠

(تابع) كتب المؤلف نشرت في لغة اجنبية

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات قضائي فنان) عام ١٩٦١

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

عزفة كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
وبالايطالية في روما عام ١٩٦٢

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

الحياة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

الشيطان في خطر : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
وبالاسبانية في مدريد عام ١٩٦٣

العش الهادىء : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة اجنبية

انشودة الموت	ترجم بالانجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالاسبانية فى مدريد عام ١٩٥٢
لوعات الشباب	(*) ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
الكنز	(*) ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
رحلة الى الغد	(*) ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٥
الموت والحب	(*) ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٥
السلطان الحائر	ترجم ونشر بالانجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالايطالية فى روما عام ١٩٦٤
ياطالع الشجرة	ترجم ونشر بالانجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ (فى دار نشر اكسفورد يونيفرسنى بريس
مصير صرصار	بالانجليزية فى لندن دار نشر هاينمان ١٩٧٣

(*) الترجمات الفرنسية من دار نشر « نوفيل ايديسيون لاتين » بباريس)

مقدمة

ما من أحد من المشتغلين بالمسرح أو المهتمين به أو المحبين له لم يسأل عن خلو حضارتنا العربية من هذا الفن ... وقد كثر البحث فى الأسباب التى جعلت هذا الفن يُعرف فى بلاد الإغريق والهند وحتى الصين واليابان ، ولا يعرف فى بلادنا قبل القرن الماضى ... ثم كثر الحديث فى أمر استنبات هذا الفن فى بلادنا منذ القرن الماضى عن طريق النقل والاقتباس، وما أسفر عنه ويسفر عن كشف لشخصيتنا وتوضيح لطابعنا ... ثم توالت الجهود فى سبيل الكشف والتوضيح للشخصية والطابع ، تحاول الربط ولو بخيط نحيل بين هذا الفن الجديد علينا وبعض المظاهر الفنية القديمة فى مجتمعاتنا الشعبية ... ولقد خطر لى كما خطر لغيرى مثل هــــذه المحاولات ... فى عام ١٩٣٠ وكنت يومئذ أعمل فى الأرياف كتبت مسرحية «الزمار» مستلهما السامر الريفى ، فجعلت بطلها من زامرى السامر يشتغل فيه بالليل ويعمل ممرضاً بالنهار فى عيادة مفتش صحة بالريف ، فقلب عيادة هذا الطبيب

إلى سامر حقيق ... ثم ظهرت بعد ذلك عام ١٩٥٦ « الصفقة »، وهى محاولة لإدخال الفنون الشعبية الريفية من رقص وتحطيب وغناء فى إطار المسرحية وأن تدور كلها فى العراء أو الجرن، أو أمام مصطبة ... إلى أن كان عام ١٩٦٢ حيث كانت محاولة أخرى لربط بعض ملامحنا الشعبية القديمة بأحدث مظاهر الفن المعاصر فى « يا طالع الشجرة » وكان تساؤلى فيها هو : هل نستطيع أن نلحق بأحدث اتجاهات الفن العالمى عن طريق فننا وتراثنا الشعبى ؟ ...

لكن ... كل هذه المحاولات منذ القرن الماضى ، وكل إنتاجنا الأصيل منه وغير الأصيل إنما يتحرك داخل الأشكال والقوالب العالمية ... حتى السامر ذاته وما فيه من مشاهد مسرحية إنما عرف بعد دخول الحملة الفرنسية مصر ، وما جاءت به من تمثيل على النحو الذى وصفه المؤرخ الجبرتى ... وكان هذا كله مساراً طبيعياً — فى رأيى — للفن المسرحى فى بلادنا ... بل إنه المسار الطبيعى لكل فن بشرى : يبدأ الفن دائماً من النقل وينتهى إلى الأصالة ، يبدأ من المحاكاة وينتهى إلى الابتكار ... منذ إنسان الكهوف حتى

اليوم ... بدأ الإنسان الأول يرسم على الصخور صوراً يحاكى بها أشكال الحيوان ، ثم أخذ شيئاً فشيئاً يبتعد عن محاكاة الطبيعة إلى ابتكار أشكال من خلقه هو ومن صنع خياله وصميم وجدانه ...

هكذا أيضاً سار الفن المسرحى لدينا . . . بدأ من النقل والاقتباس عن المسرح الأوروبى ... وسارت عملية النقل عن أوروبا ابتداء من مرحلة السامر إلى مرحلة الترجمة والاقتباس إلى أن وصل إلى مرحلة التأليف الأصيل ... وفى هذه المرحلة الأخيرة كان كل ما نصبو إليه هو أن يكون مبلغ أصالتنا احتواء أعمالنا على قدر من الطعم الخاص والرائحة التى تنم علينا ، مع قدر من الإتقان الفنى يشهد لنا به الغير ...

لكن ، بقى مطلب أو مطمع يراود الكثيرين : ذلك هو الشكل أو القالب ... وكان التساؤل هو : هل يمكن أن نخرج عن نطاق القالب العالمى ، وأن نستحدث لنا قالباً وشكلاً مسرحياً مستخرجاً من داخل أرضنا وباطن تراثنا ؟ ...

إن الإجابة عسيرة ... وتحقيق ذلك أعسر ... وإن كان التحقيق على فرض إمكانه يبدو فى نظر الكثيرين قليل الجدوى،

من الوجهة العملية ... لأن القالب العالمى السائد إنما هو حصيلة جهود متراكمة لكافة الشعوب والأحقاب، واستخدامنا له فيمن استخدمه من شعوب الأرض فى مغربها ومشرقها ليس فيه غضاضة، بل فيه النفع والدليل على وجودنا الحى فى قطار الحضارة المتحركة ...

لكن ... مهما يكن من أمر فلا ينبغى أن نقعد عن المحاولة ... ولقد فكرت فى ذلك ورأيت أنه للبحث والتنقيب داخل أرضنا وتراثنا يجب أن نكر راجعين إلى ما قبل مرحلة السامر ... هناك فقط نكون بعيدين عن كافة المؤثرات الخارجية ... فما هى المرحلة السابقة على مرحلة السامر ؟ ...

إنها ولا شك المرحلة التى كنا فيها بعيدين جداً عن فكرة التمثيل أو التشخيص ... إنه العهد الذى ما كنا نعرف فيه غير الحكاواتية والمداحين والمقلدين ... فنون بدائية من غير شك، ولكن الناس وقتئذ كانوا مع ذلك يجدون فيها أخصب المتعة ... كانوا يجدون فى حكاية الحكاواتى للسير والملاحم، وفى تقليد المقلداتى للأشخاص والمشاعر ما أمدهم بمتعة فنية عوضتهم عن

المسرح ... فالتأثير الذى كان يحدثه فى نفوسهم مثل هذه العروض كان عميقاً ... ويكفى أن نذكر ما كانت تحدثه فى نفوسنا ونحن. أطفال حواديت جداتنا وأمهاتنا عن الشاطر حسن وست الحسن والجمال ، وما كان يحدثه فى شبابنا الشاعر أبو ربابه بروايته لحروب أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة ... وكيف كان الحضور يتخاصمون من شــدة الإنفعال ... فريق معجب بأبى زيد وفريق معجب بالزناتى ... وكان الشاعر الحاكى إذا وقف بحكايته عند انتصار أحد البطلين وهمّ بالإنصراف ، صاح به الفريق الآخر وأقعده حتى يروى انتصار بطله هو الآخر ... كل ذلك بلا ملابس ولا ديكور ولا خشبة مسرح ولا تمثيل ... إنما هو مجرد حكاية رجل موهوب يجيد الحكاية قد أحدث فى الناس هذا التأثير العجيب ، الذى قل أن يوجد نظيره فى مسرح حقيق ، لانعدام الاتصال المباشر بين الحضور والممثلين فوق المسرح ...

هنا إذن المنبع الذى نستطيع أن نخرج منه بشىء ... فإذا أضفنا إلى هذا المنبع الشعبى منبعاً آخر من تراثنا الأدبى فى روايات الأغانى للأصفهانى وفيما ورد عن الجاحظ والحريرى وبديع الزمان.

وغيرهم من شخصيات ومواقف وحوار — وقد سبق أن نبهت إلى قيمة ذلك كله منذ نحو ثلث قرن — فإننا يمكن أن نخرج برأى فى أمر الشكل أو القالب المسرحى الذى نحاول الكشف عنه ...

وأهم ما ينبغى الالتفات إليه هنا هو أن يكون هذا الشكل أو القالب مصنوعاً من هذه العناصر سالفة الذكر ... كما أنه يجب لكى يسمى قالباً حقيقياً أن يكون صالحاً لأن تصب فيه كل المسرحيات ، على اختلاف أنواعها من عالمية ومحلية ومن قديمة وعصرية ... فنحن نسمى القالب الأوروبى أو العالمى قالباً وشكلا لأنه صالح لأن تصب فيه كل الموضوعات والأفكار من الغرب والشرق على السواء ... وكما نصب نحن ، منذ القرن الماضى ، فكرنا وموضوعنا فى الشكل أو القالب الأوروبى أو العالمى فإن الشرط الأساسى لما يمكن أن نسميه قالبنا العربى هو أن يستطيع الأوربيون بدورهم هم وغيرهم من مؤلفى العالم أن يصبوا فى قالبنا العربى أفكارهم وموضوعاتهم ...

وهذا ما حاولته هنا من جعل قالبنا يقوم أساساً على الحكاواتى والمقلداتى ... وأحياناً المداح إذا لزم الأمر ... وأضفت من عندى

مقلداتية أى مقلدة للأدوار النسائية ... ولن يكون لقالبنا هذا بالطبع خشبة مسرح ولاديكور ولا إضاءة ولا مكياج ولاملابس. فكما كان الحاكى والمقلد والمداح والشاعر يقومون فى الماضى بأعمالهم بملابسهم العادية فى أى مكان ويحدثون أعمق الآثار، كذلك مسرحنا هذا سيكون بهذه البساطة ... سنعود به إلى المنبع الصافى الذى يتصل مباشرة بالجوهر ... ففى عصر السينما بمناظرها وملابسها وأضوائها لم يعـد أمام المسرح إلا الجوهر : وهو الاتصال الحى بين الفن والإنسان ... إن الحاكى والمقلد والمداح لا ينفصلون عن الناس لحظة، لأنهم بينهم، منهم وإليهم، بنفس الملابس العادية وفى أمكنة عادية وبأسمائهم الحقيقية ... الفن هنا فن خالص يقوم على موهبة مجردة طبيعية لا تحتاج إلى سند من فنون أخرى ... إنها الموهبة العارية من أى بهارج إضافية ...

ولقد تنبه بالفعل بعض رجال المسرح فى أوروبا منذ سنوات إلى ضرورة إبعاد المسرح عن مجالات المنافسة مع السينما الطاغية، فأخذوا يبسطون فى عمليـات الديكور ويكتفون فى العروض ببعض الستائر والمدارج الخشبية وبعض الخطوط الرئيسية ،

مبتعدين عن البهرج الزائد ، ولكن ذلك كله كان بالطبع فى حدود القالب المسرحى المعروف ... كما أن العودة إلى المنابع البدائية فى الفن للاعتراف منها واستلهامها قد تنبه إليها أيضاً أصحاب المدارس الحديثة فى الفن العالمى ، سواء فى الفنون التشكيلية أو الموسيقية أو حتى الشعرية والفكرية ، وسواء أكان المنبع البدائى فى شعوب وقارات أم فى هبات أطفال ... فالبدائية لم تعد تدل اليوم على جهل أو قصور بقدر ما تتكشف كل يوم عن مدلولات للتفوق تثير الدهشة ... فالفن البدائى أقرب إلى أن يكون فناً سماوياً .. أى أنه نابع مباشرة من منبع عجيب لحيوية دافقة وقدرة فى التعبير والخلق مجهولة المصدر ...

فلا غضاضة إذن فى البحث والتنقيب داخل ماضينا السحيق لننفض الغبار عما يمكن أن يصلح لعصرنا الحاضر ، وعما يمكن استخدامه لحمل آثار الحضارة التى نعيشها ...

فنحن إذن ببعثنا الحاكى والمقلد والمداح وجمعهم معاً سنرى أن فى استطاعتهم أن يحملوا آثار الأعلام من اسخيلوس وشكسبير وموليير إلى إبسن وتشيخوف حتى بيراندللو ودرنمات ... كما أن

فى استطاعتهم أن يحققوا الأمل الذى طالما تمناه الجميع فى كل مكان وهو : « شعبية الثقافة العليا » أو بعبارة أخرى هدم الفاصل بين سواد الشعب وآثار الفن العالمى الكبرى ... فإن هؤلاء الثلاثة وحدهم بملابسهم العادية : ملابس العمال فى بيئة مصانع ، وملابس الفلاحين فى بيئة حقول ، يستطيعون أن يتحركوا بسهولة ويذهبوا إلى أى مكان ، بغير ديكورات ولا إكسسوار ولا ملابس ولا بهارج ... بمجرد نصوص عظيمة فى رؤوسهم وقلوبهم ، يندسون فى طبقات الشعب حاملين للجميع بأبسط الوسائل أخلد ثمار الفن والفكر ...

ولقد اخترت فى هذا الكتاب نماذج قصيرة لبعض هذه الآثار المسرحية الكبرى بعد صبها فى قالبنا العربى هذا ... وأنا غير غافل عن صعوبة سوف تعترض التنفيذ : إنها إيجاد المقلد الموهوب ... فالمقلد غير الممثل ... إن الممثل يتقمص الشخصية ... ولكن المقلد عمله عكس التقمص ... لأنه يتقدم إلينا شخصاً عادياً باسمه الحقيقى ، ثم يرسم لنا الشخصيات تحت أعيننا رسماً واعياً ، مع احتفاظه طول الوقت بشخصيته الحقيقية ، مثله مثل النحات

أو المصور أو الرسام الذى يباشر عمله فى حضورنا داخل معمله ، ويسمح لنا بأن نتابع العجينة فى يده وهى تتشكل ، أو الألوان وهى تتناسق ، أو الخطوط وهى تبرز الملامح ... إنه عمل عجيب ممتع ... ويكفى أن نتصور مثلا ليوناردو دافنشى وهو يصور فى حضورنا ابتسامة موناليزا الغامضة ! ... ونتابع يده وهى تتحرك أمامنا حية لتحدد السمات وتظهر المعانى ...

إن المقلد هنا يحتاج إلى موهبة وبراعة أكثر مما قد يحتاج الممثل ... لأن الممثل ، حتى ولو كان من الكبار جداً والمشاهير ، قد يكون أسير أسلوبه فيمثل أى دور كأى دور ، معتمداً على مزايا صوتية وإلقائية وحضورية حددته وجمدته فى شخصية فنية ثابتة فرضت نفسها على الجماهير ... أما المقلد فهو يتحرك بسرعة بين شخصية وأخرى فى نفس الوقت ، وعليه أن يبرز معالم كل شخصية واضحة جلية مفروزة عن غيرها بكل سماتها وإشاراتها ونبراتها ولازماتها وكوامن مشاعرها وتفكيرها ... كل ذلك مع عدم تقمصها ... فهو داخل فيها ومبتعد عنها فى نفس الوقت ... لأنه موجود بيننا فعلا بشخصيته الحقيقية وملابسه العادية وإسمه

الحقيق ... إنه يمسك بريشة سحرية خفية ليقول لنا : « أنا فلان الفلانى ولكن سأريكم الآن من هو هاملت ؟... انظروا جيداً !...» ونحن عندما ننظر إليه وهو يشكل الشخصية ويخلقها نشعر أننا أيضاً فى قرارة أنفسنا قد شاركناه فى نشاط الخلق وارتفعنا عن مستوى الفرجة النائمة ...

من هنا كان قالبنا هذا ، مع أن منبعه بدائى ، يتصل بأحدث نظريات المسرح المعاصر ... فمن هذه النظريات ما يقول إن جمهور اليوم قد شب عن الطوق وبلغ النضج والوعى الذى يرفض معه فكرة « التمثيل عليه » أى فكرة الإيهام المسرحى ... فهو لا يكتفى بأن نقدم له اللعبة ولكنه يريد أيضاً أن نقدم له كيف صنعت اللعبة ... إنه يريد أن يرى الثوب وبطانة الثوب ... إنه يريد أن يشارك فى الخلق ، ولو بمتابعة أسرار الخلق ... إنه لا يكتفى من الحاوى برؤية خدعه ، ولكنه يريد أن يريه الحاوى كيف صنع الخدعة ... ولذلك لجأت بعض المسارح هناك أخيراً إلى أن تركب الديكورات فى حضور الجمهور بعد فتح الستارة وأثناء العرض، لا قبل ذلك ...

فالمقلد عندنا إذن إنما يقوم بكل ذلك ، هو والحاكى ... فهما يعرضان أمامنا كل اللعبة على المكشوف ... وأقول « اللعبة » لأنهم كانوا عندنا بالفعل يسمون فى الماضى هذا العرض « لعبة » تأكيداً للناس أن هذا الفن لا يريد إيهام أحد ... ومن الغريب أن المسرحية فى اللغة الإنجليزية تسمى كذلك « لعبة » — وعلى من يريد البحث أن يتحرى عن أصل ذلك — وفى الفرنسية أيضاً يلعب بمعنى يمثل ... على أن كل هذا لم يمنع من أن الفن المسرحى هناك إنما يقوم على الإيهام والتغطية ...

على أن الحاكى فى قالبنا يمكن أن تسند إليه مهام أخرى مختلفة ... فهو يمكن أن يكون مدير العرض الذى يراقبه ويوجهه علناً أمامنا ، كما أنه يمكن أن يكون المخرج الذى يساعد المقلد قبل العرض على تفهم الشخصيات وملامحها الظاهرة والباطنة ودراسة تفصيلات كل حركة ونبرة وإيماءة تميز إحداها عن الأخرى ... كما يمكن التوسع فى عمل الحاكى فنحمله مهمة تفسير بعض المعانى والمواقف والأفكار العسيرة ، وخاصة فى البيئات الشعبية التى قد تحتاج إلى ذلك ... كما يمكن أن يساعد المقلد أثناء العرض فى كل

مما يحتاج إلى وجود شخص آخر ... إن إمكانات تطوير هذا القالب لا حد لها ... على شرط أن نبق على أساس فلسفته ، التى يختلف فيها عن فلسفة القالب الأوروبى : وهى أنه يقوم على فكرة التقليد وليس على فكرة التمثيل ...

ولعل ذلك نتج عن المعتقدات الدينية فى تلك العهود ... ربما كان من المكروه أن يتقمص شخص شخصية أخرى أو يحل فيها حلولا تاماً ، بمعنى أن يظهر على الناس فى صورة وثوب تلك الشخصية ... فلجأ الفنان إلى وسيلة التقليد ... بمعنى أنه لا تقمص ولا حلول ... إنما هو كشف عن سمات وملامح وكوامن ...

هذا ومن مزايا قالبنا أيضاً أنه خير مدرب لطلبة التمثيل فى المعاهد .. فكما يدرب اليوم طلبة البحرية على معرفة أسرار الملاحة واتجاهات الرياح فوق مراكب شراعية ، فإن خير تدريب على تمثيل الأدوار المختلفة هوقالبنا هذا الذى يفرض على المقلد الواحد أن يدرس أسرار مختلف الشخصيات فى المسرحية الواحدة ، ويحاول أن يبرز ملامح وسمات وكوامن كل منها واضحة مفروزة ...

إنه فن مركز ... تتركز فى ثلاثة فنانين فقط كل قوة التعبير

والخلق التى تقوم بها فرقة عديدة الأفراد كاملة المعدات ... لذلك يمكن أن نسمى قالبنا هذا : « المسرح المركز » .

ولما كان الفن فيه يقوم كذلك على التقليد التشريحى للشخصيات فإنه يمكن أيضاً أن نسميه : « المسرح التشريحى » .

وبعد :

فقد يقال أخيراً أن قالبنا العربى هذا ليس فى حقيقته مسرحاً بالمعنى المفهوم ... والواقع أن هذا لم يعد يضيرنا الآن فى شيء ، بعد أن قامت فى أوربا اليوم اتجاهات جديدة تحاول كلها تقويض فكرة المسرح كما يعرفه الناس ... فظهر ما يسمى :

اللامسرح أو anti - theatre

وما يسمى بالـ happening وما يسمى بالـ Living ... ونحو ذلك مما ظهر وسوف يظهر لتغير الفكرة المألوفة عن المسرح ... وإذا كانت هذه الإتجاهات الحديثة ترمى هناك كلها أو بعضها إلى مجرد التغيير أو الرغبة فى الجديد دون أن تتضح لها فائدة عملية ، فإن قالبنا هذا له على الأقل هدف عملى نبيل هو : تبسيط الوسيلة التى تحمل بأقل تكاليف أرقى آثار الفن والذهن

الإنسانى إلى الشعب كله فى أحيائه وقراه ... ومن أجل هذا الهدف ربما كان لنا أيضاً أن نزعم أن هذا الشكل أو القالب لا يحل مشكلة : « المسرح للشعب » فى بلادنا وحدها بل كذلك لكل شعب آخر فى العالم ... فى أصغر مصنع وأصغر قرية ...

على أنى بعد ذلك أريد أن أنبه بوضوح إلى أنه ليس معنى المناداة بهذا القالب الإنصراف عن القالب العالمى المعروف وما يسير فيه من اتجاهات وتطورات ... بل على النقيض ، فإنى إلى جانب ذلك أنادى أيضاً بالاحتفاظ فى نفس الوقت بالخط الذى سرنا فيه حتى الآن من معاصرة الفن المسرحى العالمى حتى لا ننفصل عن الركب الحضارى العام فى جميع خطواته وتطوراته ...

١٩٦٧ ت . ا

مأساة

أجاممنون

للشاعر التراجيدى

أسخيلوس

ترجمة وتقديم الدكتور لويس عوض

الحاكى : أنا الحكاواتى ... « يذكر اسمه الحقيق » أعرض عليكم اليوم لعبة للمؤلف الشاعر اسخيلوس اسمها أجا ممنون ... كان ياما كان ياسعد يا إكرام ملك يدعى أجا ممنون على بلد يسمى أرجوس ... ذهب هذا الملك إلى حرب طرواده ... ثم عاد منتصراً ... وفى غيبته اتخذت زوجته المسماة كليتمنسترا عشيقاً يدعى إيجيست ... فلما عاد زوجها أجا ممنون استقبلته بالترحاب ، ولكنها أضمرت له الشر ... ودخلت معه الحمام لتعاونه على الاغتسال ، وغافلته وقتلته بطعنات خنجر ... وخلا لها الجو مع عشيقها ... واستقرت معه على سرير الخنا والحكم ... سنرى الآن كيف أبرز اسخيلوس الشاعر الإغريق القديم هذه الفاجعة ، وذلك من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية مع إنشاد

المداح ... تقدم أيها المقلداتى أولا وقل للحضور الكرام من ستقلد ... وابدأ بالتعريف بنفسك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... « يذكر اسمه الحقيقى » سأقلد أجامنون، وإيجست والديدبان وقائد الكوراس ...

الحاكى : وأنت يا سيدتى ... عرفينا بنفسك وعملك ؟ ...

المقلدة : أنا المقلداتية.. « تذكر اسمها الحقيقى » سأقلد كليتمنسترا و «كاساندرا» سبية أجامنون ...

الحاكى : وأنت أيها المداح ؟ ... ما اسمك وعملك ؟ ...

المداح : أنا المداح « يذكر اسمه الحقيقى » سأقوم بنشيد الكوراس. من شيوخ أرجوس... أنشد الشطرة وجواب الشطرة ...

الحاكى : عظيم ... عظيم ... فلنبدأ اللعبة ... وهى تبدأ أمام قصر أجامنون فى أرجوس ... قبالة القصر تماثيل الآلهة ومذابح أعدت لتضحية القرابين ... نحن فى الليل ... وعلى سطح القصر يمكن استبانة ديدبان حارس ... اشرع الآن فى العمل أيها المقلد ، وقلد لنا الديدبان وما يناجى به نفسه فى جوف الليل ...

المقلد : أضرع إلى الآلهة أن تنقذنى من هذا العناء ، فتريحنى من وقفتى الساهرة هنا طوال هذا العام المديد ... هأنذا أرقد كما يرقد الكلب الحارس ، متكئاً على ذراعى على سطح القصر ، قصر آل أتريوس ... لطالما راعيت جمهرة النجوم وسط الليل ... لطالما تأملت بهاء أرباب الضياء التى تتلألأ ساطعة فى أديم الجوزاء وتهدى بنى الإنسان فى رحلة الصيف والشتاء ... هأنذا أرقب إشارة المشعل ، علامة النار التى ستأتى بالكلمة من طروادة هاتفة : لقد سقطت طروادة ! ... بهذا الأمل العظيم يخفق فؤاد الملكة كليتمنسترا ذات الجنان القوى ، لها قلب الرجال ... ليلى ساهر وفراشى بلله الندى فلا تراوده الأحلام ... واهاً لى ! ... الخوف شاخص بجوارى يحدجنى طول الليل بدلا من رب النوم ، فلا أستطيع أن أطبق جفنى على سنة أو سبات ... وكلما أردت أن أغنى أو أهمهم بالصفير لأستعين بسحر النغم على ليل السهاد ، ناحت روحى

وقالت : واهاً على هذا البيت الحزين الذى لم يعد يظله الشرف كما كان فى القديم ... أما الآن فكلى أمل أن يفك أسارى حين تسطع نار النبأ السعيد فتشتت قطعان الظلام ...

الحاكى : هاهو ذا بالفعل يظهر ضوء مشعل فى الأفق البعيد أحمر النيران ... إنها البشرى المنشودة ...

المقلد : مرحى ! ... مرحى ! ... ياسراج الليل ... يامن جلوت أطباق العتمة بنور النهار ... يا من ستملأ البشرى أرجاء آرجوس بالرقص الكثير ... سأنادى بأعلى صوت : يا مليكتى ... يا مليكتى ! ... لأوقظ زوجة أجا ممنون فتهب من فراشها على وجه السرعة ، وتصيح طربا لمرآى هذا اللهيب الذى يعلن سقوط طروادة ... سأكون أول الراقصين لهذه البشرى السعيدة ... زهر سيدى ألقته يد المقادير بالحظ السعيد ... فما أسعد حظى بضياء هذا المشعل ... فياليت حظى يسعدنى بأن أشد مرحباً على يد مليكى ومولاى سيد هذا القصر .

عند قدومه ... ولكن فليصمت لسانى عن كل ما يجرى
فى أرجاء القصر ، كأن على لسانى نيراً ثقيلا ... لو أن
للقصر لساناً لتحدث عن نفسه وروى حكايته ببليغ
الكلام ... لن أخاطب إلا من يعرفون الأسرار ...
أما لمن يجهلون فذاكرتى فى لوحة مسحتها يد النسيان ...

الحاكى : يخرج الديدبان الآن ، ليعلن البشرى ولا شك ...
ويدخل كوراس من شيوخ أرجوس ، كل منهم يتوكأ
على عصاه ... تقدم الآن أيها المداح وقم بنشيد
الكوراس ...

المداح : « ينشد » دارت على الأبطال والكماة
رحى القتال عشر سنوات
مذ خرجت جحافل الغزاة
تثأر من طروادة العصماء
لخطفها هيلانة الحسناء .
لعشرة مضت من الأعوام
تأهبت مدينة بريام

للرمح والقنا وللضرام

للقوس والنبال والحسام

ساق لها من شاطىء الإغريق

أجا ممنون ذو المجد العريق

والعاهل العظيم منيلاس

ألف سفينة من الرواسى

وحشد الفتيان من أرجوس

العاهلان سبط أتريوس

بنعمة السماء من زيوس

وصيحة القتال كالهدير

شقت عنان الجو بالنذير

مثل عويل الصقر والنسور

قد حومت بخافق الجناح

فوق ذرا الجبال والرياح

ثكلى على أفراخها الصغيرة

وهى على هيلانة المنيرة

لـكن مصغياً فى الأرباب :
أبولو ذا السهام والنشاب
أو بان أو زيوس فى علاه
رق لها الإله فى سماه
فأرسل الرعود والزبانية
للثأر من طرواد وكر الزانية
وهكذا أمضى لنا زيوس
العاهلين نسل أتريوس
ليطلبا دم الأمير المغتصب
باريس موقد الضرام فى الحطب :
زين لهيلانة الغواية
فر بها فبدأ الرواية :
من أجل من تزوجت زوجين
ووهبت فراشها بعلين
خط زيوس قدر اليونان
وآل طروادة فى الزمان

بأحرف من الدم المهراق
والدمع لا يجف من الآماق
وكتب الجهاد والقتالا
طول الجلاد أنهك الأبطالا
يوم جثا الرماة فوق النقع
وامتزج الثرى بغالى الدمع
واهتزت الرماح يوم الهول
وصلصلت لها دروع الخيل ...
لكن ما يراد لا يرد :
لا بد مما ليس منه بد
وكل أمر غيبه مسطور
يجرى بما قد قدر المقدور
زيوس غاضب على الأحياء
ولن يزيل لعنة الآباء
مهما جرت جداول الدموع
مهما بكينا مشهد الربيع

مهما أرقنا الخمر والقربانا
على القبور نرتجى الأوثانا

زيوس غاضب على العباد :
الثـــأر أعمى سيد البلاد
أجا ممنون لحظة العناد
قـــدم بقته وفلذ صلبه
ونور عينه وحب قلبه
إيفيجنيا زينة العذارى
وزهرة الوديان والبكارى
ذبيحة لمـارس رب الحرب
(قربانه الملعون أدمى قلبى)
حتى يرق ملك الرياح
ويدفع الأسطول فى سماح
فيمخر الخلجان والبحارا
إلى الجلاد طالبين الثارا
ويغسل الأغريق هذا العارا

نحن شيوخ الأرج واليونان
هيكلنا مهدم البنيان
نمشى على العصا نتوكا
دنا إلينا القبر ما تلكا
مذ تركتنا رفقة السلاح
وزهرة الشباب والكفاح ...
فى برجه لا يرصد المريخ
ولا يراه الشيب والشيوخ
أوراقنا كورق الخريف
تساقطت قبل الردى المخوف
سحابة كالحلم الشفيف
جئنا ونمضى كالندى الخفيف
لكن صه ! ... ما هذه الطقوس ؟ ...

الحاكى : فعلا ... هى طقوس ... فقد ظهرت كليتمنسترا فى الخلف توقد النار على المذابح ...

المداح : « مستأنفاً » ماذا جرى يا بنت تنداروس ...

يا من لبست التاج فى أرجوس ؟ ...
مليكتى الغراء كايتمنسترا ...
ماذا جرى ؟ ... ماذا دهاها يا ترى
هل جاءت الأنباء من بعيد ؟ ...
الليل ليس من ليالى العيد ...
تقدمين المر والنذورا
وتحرقين الطيب والبخورا :
هل جاءت الأنباء يا مولاتى
محرقة القربان فى المحراب
نيرانها تصعد للأرباب
آلهتى حارسة البلاد
حامية السماء والعباد
وبالطيوب ضمخوا القربانا
وأسكروا بالصندل الأوثانا ...
وقدمت مليكة الحواضر
أعز ما تملك من فطائر ...

مليكة الاغريق ... يا مولاتى ...

اليأس ران فى دجى حياتى ...

تـكلمى بما تبيح الآلهة

تشفى قلوب اليائسين الوالهة ...

فما رأته العين من قربان

جدد حولى سندس الأمانى

وذب صقر اليأس عن جنانى

الحاكى : والآن أيها المداح أنشد الشطرة الأولى ...

المداح : أنا من ينشد أمجاد القتال

كلل الأبطال غاراً وقلائد

ونشيدى وحى أربابى العوالى

يلهم الوثبة فى وجه الشدائد

سيدا أرجوس سلطانا أخايا :

أجا ممنون اتبرى ومنيلاس

يحشدان الجند فى أرض المنايا

زهرة اليونان أبطال هيلاس ...

خرجوا للثأر غابا من رماح
فإذا نسران فوق القصر طارا
ملكا الجوزاء هما بالجناح :
أقتم الريش كما الإعصار ثارا .
أبلج القادم سباق الرياح . .
وإذا النسران تحت المخلب :
عن يمين القصر مثل السانحات
مزقا كالوحش أنثى أرنب
بطنها حبلى بسرب من بنات :
قالت اليونان فأل النصر آت ...
وعقابا البحر ، سلطانا أخايا ،
مزقا طرواد فى يوم الرزايا
نحن يا ليل ويا عينى الحزينة
ليت هذا الليل يأتى بالسكينة

الحاكى : وعليك الآن يا مداح بإنشاد جواب الشطره ....
المداح : ورأى العراف أن العاهلين ...

ولدَى أتريد ، ليسا من نسيج :
أدرك العراف أن القائدين ،
وهما النسران هنا فى الخليج ،
فاتحا طرواد غصت بالكماة ...
صرخ العراف فى الجمع ونادى :
هذه رؤيا وفأل السانحات
فاسمعوا تأويلها بالوحى جادا :
« جاءت الأقدار بالوعد الأمين
هذه الغزوة ويل و ثبور
لبنى بريام فى الثغر الحصين ،
شامخ الأبراج عملاق الثغور ...
« غير أن الكنز يربو فى الخزائن ...
وجبال المال تبر ونضار
تملأ الأبراج فى أم المدائن
سوف تذروها أعاصير الدمار ...
« يا بنى هيلاس : حذارا وحذار ...

ربة الصيد إذا هاج الوطيس
وَقَت الأعداء ويلات الدمار
وحمتهم من لظى الحرب الضروس
« ربة الصـــيد ديانا أرتميس »
تبغض النسرين عاشا فى حماها
هى أم القنص تحنو للقنيص
وتذب البـاز يسطو فى سماها
ربة الصيد ديانا ارتميس
تبغض النسرين سبطى اتريوس
نحن يا ليل ويا عينى الحزينة
ليت هذا الليل يأتى بالسكينة

الحاكى : وبعد ذلك يأتى نشيد ...

المداح : « ينشد النشيد » الربة الجميلة الرحيمة
تكلأ شبل الليث فى الآجام
وتكلأ الرضيع والفطيمه
وتكلأ الجنين فى الأرحام

الربة العفيفة العـــذراء
ذات كلاب الصيد أرتميس
منزلها الأقمار والآلاء
نادت أبا السماء «أى زيوس !...»
«يا أبت : يا صاحب الآلاء :
إن كنت قد قدرت لليونان
أن يسحقوا طروادة العصماء
فليمش فيها قدر الديان :
«لكننى أدعو أبا الآلاء
وهو أبى وملك الزمان
أن يعطى النصر بلا سخاء
أن يكتوى بالمحنة النسران :»
فيا أبولو ، يا سنا حياتى
يا شافى الجراح والندوب
هذى صلاتى ، فاستمع صلاتى :
«اكبح جماح الربة الغضوب

«كى لا تعود تنسج الشباكا
تغلل البحار والمدائن
لتوقف القتال والعراكا
وتحبس الرياح والسفائن
فيفزع الاغريق للأرباب
ويذبحوا زاقى لها ذبيحة
عذراء لم تذق جنى الشباب
كأيفيجنيا البضة الصبيحة
يا بئس قربان وحش الغاب ...
«وارتميس ربة الطراد
زارعة الشقاق والخصام
تبذر حب المقت والأحقاد
بين ذوى الأصلاب والأرحام
ظمآنة للدم والجلاد ...
كالكأس وهو سيد الرواة ،
أنشد فى بلاط الأمراء

ما خطت الأقدار للغـــزاة .
منذ استوى النسران فى السماء
« نحن يا ليل ويا عينى الحزينة
ليت هذا الليل يأتى بالسكينة »

الحاكى : والآن الشطرة الثانية ...

المداح : أى زيوس : يا إلهى ومجيرى :

أيها المحجوب بالستر العجيب
باسمك الغالى أنادى يا نصيرى
أى أسمائك أدعو فتجيب ؟
فى شعاب الفكر ضلت قدماى
ناء قلبي تحت أرزاء الحياة
لم أجد غير طريق لهداى
يبرىء الأسقام لا درب سواه
أن أنادى : يا زيوس فى سماه
أيهـا الواحد : يا أعلى إله
خاتم الأرباب : يا طوق النجاة

لك ترجى الحمد فى كل صلاه

الحاكى : وجواب الشطرة الثانية ...

المداح : كان أورانوس فى العرش القديم

يحكم الكون كجبار عنيد

فهوى من حالق مثل الرجيم

أفل الكوكب من عرش الوجود

وتردى ، فاستوى فى العرش ثان

دوخ الأفلاك تحت الصولجان

قيد الأشياء فى بعد وآن

فكرونوس كان سلطان الزمان

وهنا جاء زيوس ذو الجلال

ورمى الثانى بمجد من ضياه

فانطوى كالظل فى السمت وزال

وعلى العرش استوى رب الحياه

أيها القهار بالحكمة ساد

أيها الجالس فى قلب العباد

كل من أنشد بالألحان مجدك
كل من أعلاك فى الأكوان وحدك
كل من خلد بالأشعار نصرك
وأتى باب زيوس غير مشرك
فهو مهـــدى وهاد وحكيم
وهو يمشى فى الصراط المستقيم

الحاكى : الشطرة الثالثة ...

المداح : ملهم الحكمة يهدى ويقود
علم الحكماء نهج الحكماء
خط للإنسان ناموس الوجود :
لا يصيب الرشد إلا بالشقاء :
فى رؤى الليل وأحلام السبات
تهطل الآلام فى الروح غزيره
وتغطى قطرات الذكريات
صفحة الروح كأنوار مطيره ...
وعلى فيض الدموع المرسلات

وصراع اللج فى النفس الحزينة
تبلغ الروح بأوزار الخطاه
مرفأ الحكمة ميناء السفينة
حيث ترسو بين خلجان أمينة :
هبة المولى لأبناء الحياة
عرش ربى فى السموات الحصينة
نعمة الآلام منجاة العصاه

الحاكى : وجواب الشطرة الثالثة ...

المداح : أجاممنون عظيم ومهيب
سيد الإغريق فى اليوم الرهيب
ما نهى العراف عن قول كئيب
عندما حلت على القوم الخطوب
بركود الريح فى عرض البحار
سفينة اليونان حطت فى اصطبار
عسكرت فى شط أوليس تحار
كيف تجتاز لكالكيس المدار ...

الحاكى : والشطرة الرابعة ...

المداح : ومن استريمون فى أقصى الشمال

هبت الريح بأنفاس عجال

تدفع الموج إلى شط الوبال

قيد الأسطول من غير حبال

هى روح الشؤم باليأس تسير

تنشر القحط كما تلقى البذور

تقذف الملاح فى أقصى البحور

شلت الأسطول والحشد الغفير

وهنا جمجم عرّاف الغيوب :

لكم الويلات من هذى الخطوب

أضمر الغيب لكم شر البلاء

داؤها أهون من هذا الدواء

لا نجاة من عوادى ارتميس

ربة الخوذة والرمح النفيس

لا تفك السفن من أسر الرياح

دون قربان عزيز لا يباح
دية أفدح من بذل الدماء :
يتها تطلب بحراً من دماء !...
ولذا أتريد لما استمعا
رغم مجد الملك سالا أدمعا
ضربا الأرض بحد الصولجان
شكيا لله من عسف الزمان

الحاكى : وجواب الشطرة الرابعة ...

المداح : أجاممنون أخو التاج الأغر
صاح : يا ويلي!... ويا ويل هيلاس
كيف أعصاه ؟... ويا هول المآسى !...
إن أطعت الأمر ، يا بئس المآل
لوّثت كفي دماءٌ لا تزال
بيــدى قدمت بنتى كالذبيحة
زينة البيت وعذرائى الصبيحة
وعلى الهيكل قربانى لعين

جلجلت لعنته عبر السنين
أو عصيت الأمر ، يا بئس المـآل
خنت قومى حين هبوا للقتال
وتنكرت لعهد الحلفـــاء
حشدوا الأبطال جاءوا بالولاء :
وغداً يزأر أبطال هيلاس :
دمها أم دم أعداء هيلاس :
قدم العذراء قربان البلاد
تهدأ الربة ثارت الأعادى
تسكن الريح وتجر الجاريات
يبلغ الأسطول ميناء العداة

الحاكى : الشطرة الخامسة ...

المداح : هكذا المسطور فى لوح القدر
أجا ممنون ارتدى نير القضاء
لم يعد يهتز من خير وشر
لم يعد يأمل فى لطف السماء

.روحه اسودت ، وقد كانت مضيئة
بات لا يبصر غير المجد نوراً
وشرى المجد بعذراء بريئة
مجد هيلاس ابنى إفكاً وزوراً
الوثة المجد كأحلام الجنون
تنبت الأشواك فى القلب الحزين
تطمس الألباب بالرأى المشين
تملأ النفس عناداً لا يلين
هكذا سيد هيلاس الكريم
شاء أن يغتال عذراه الصبيحة
فى سبيل الحرب والغزو العظيم
ويضحيها كما الشاة الذبيحة
فى سبيل الثأر من أجل هيلانة
خرج الاغريق رمحا واحداً
وأجاممنون لم يرض الخيانة
فى سبيل الثأر خان الواحدا

الحاكى : وجواب الشطرة الخامسة ...

المداح : وإلى الهيكل جاءوا بالفتاة
وهى تبكى لأبيها فى ضراعة
فإذا الأبطال أصلاد قساه
ومع الأبطال لم تجد شفاعة
أنشد الكهان قداس الصلاه
وبأمر من أبيها لا يرد
رفعوا البنت كما ترفع شاه
فى إزار الموت مرضاة الجسد
وعلى المذبح بين الصلوات
كمم الكهان أشداق الفتاه
خوف أن تلقى رهيب اللعنات
لحظة الموت وبين الحشرجات
وتنادى رب كل الكائنات :
« لعنتى حلت على رأس أبى
لعنتى حلت بآل أتريوس

وعلى اليونان حمر المخلب
لعنتى حلت على الحرب الضروس »
الحاكى : الشطرة السادسة ...
المداح : ثوبها الهفهاف فى الأرض تدلى
فاقع الصفرة مثل الزعفران
حدجت كل الجناة تتملى
عينها من قاتليها فى حنان
وكساها الحزن حسناً من سناها
مثل تمثال جميل وكريم
وعليها ذكريات من صباها
لأبيها وهى تشدو كالنسيم
فى فناء القصر فى البهو العظيم
تطرب الأضياف فى نغم المآدب
وعلى الأوتار تشدو بالمناقب
زهرة بيضاء فى ظهر العذارى
وشذاها البكر من نفح البكارى

كم شدت فى مجد مولاها الحنون
لأبيها سبحت فى كل حين ،
إذ رأته يحتسى كأس السعادة
يشرب الأنخاب تترى فى عبادة
لزيوس الرب فى أعلى علين
عرشه الأمجد فوق العالمين

الحاكى : وجواب الشطرة السادسة ...

المداح : لا تسل : ماذا جرى من بعد هذا ؟ ...
لا تسلنى : كيف صارت ثم ماذا ؟ ...
أنا عينى ما رأت من بعد شيا
ولسـانى صامت ما دمت حيا
إنما العراف كالكأس الرهيب
يكشف الستر وألواح الغيوب
كل من ذاق عذاب الهم صابا
أوتى الحكمة منه وأصابا
لطف ربى وزع العدل حسابا

خصص الرؤيا لمن ذاق المصابا
أيها الغيب ! ... تحجب ما تشاء
كل آت سوف يأتى بالقضاء
إنما الرؤيا عذاب ووجيعة
ومذاق آجل قبل الفجيعة
كل فجر صاغ للشمس دموعه
فكفانا شقوة اليوم الفظيعة
ووداعا ، أيها الغيب ، وداع
ولنصل ، نحن أشياخ الرعاع
وبنى أبيوس حراس القلاع
ليت هذا الليل يأتى بالضياء
ليت هذا اليأس يتلوه الرجاء

الحاكى : ها هى ذى كليتمنسترا تترك المذبح وتتقدم ... تقدمى أيتها المقلداتية ... يا من ستقلدين هـذه الملـكة ... وتقدم أيها المقلداتى ... لتقلد قائد الـكوراس وهو يستقبلها ...

المقلد : « قائد الكورس » حييت يا صاحبة الجلالة ،

مليكة البلاد كليتمسنترا :

فى غيبة العاهل ذى الجلالة

عن عرشه الخالى كعرش المشترى

لا بد أن تقدّم التحايا

لزوجه الخطيرة السجايا

هل جاءت الأنباء من بعيد

بالنبأ المؤكد الأكيد ؟ ...

أم يا تراه أمل كذوب

وسيد البلاد لا يئوب ...

أضرمت كل هيكل مجيد

باللهب المقدس السعيد

تكلمى مليكتى وقولى :

هل عاد فى موكبه الجليل ؟ ...

أو فاصمتى إن شئت عن أنباء

فلن ألوم الصمت من ولائى ...

المقلدة : أقول مثلما يقول المثل :

فليخرج الصباح كالوليد
من بطن هذى الليلة الثقيلة
مثل غلام فاض بالسعادة
النبأ السعيد قد تجاوز
أرحب ما عرفت من آمال
فاطرب وخل الحزن لسماعه
أبطال أرجوس العظام اقتحموا
طروادة العصماء وسبوها
وحطمت مدينة بريام

المقلد : ما ذا تقول الملكة المهيبة ؟ ...

أنباؤك الرائعة العجيبة
تملؤنى بالدهشة الغريبة

المقلدة : أقولها واضحة :

استسلمت طروادة
وسقطت فى يدنا

المقلد : من فرط فرحتى جرت دموعى
ودقت الأوتار فى ضلوعى

المقلدة : سيماك تنبىء بولائك العظيم ...

المقلد : أى دليل باليقين جاء
يثبت ما عندك من أنباء ؟ ...

المقلدة : عندى اليقين والدليل القاطع
هل يكذب الإله ؟ ... مستحيل ..

المقلد : هل صدقت مليكة الأنام
رؤيا رأتها ساعة المنام ؟ ...

المقلدة : كلا ... فلست غرة تقاد
بما تراه الروح فى سباتها ...

المقلد : إذن فقد جاءت مع الرياح
شائعة طارت بلا جناح ...

المقلدة : كفى تهكما كفى زراية
يا سيدى ! ... فلست بنتاً ساذجة

المقلد : متى إذن تصدعت طروادة

واستسلمت لجندنا النجادة ؟ ...

المقلدة : فى هذه الليلة فى الهزيع

قبل انبلاج الفجر والشروق ...

. . . .

. . . .

هملت

لوليم شكسبير

تعريب : خليل مطران

الحاكى : أنا الحكاواتى... « يذكر اسمه الحقيقى » أعرض عليكم لعبة المؤلف شكسبير اسمها « هاملت » ... كان ياما كان يا سعد يا إكرام فى بلاد الدانمارك ملك طيب له زوجة جميلة وابن بار اسمه « هاملت » كما كان له أخ شرير طمع فى عرشه وزوجته ... وترَصد له هذا الأخ ذات يوم وهو نائم آمن فى حديقة القصر ودس له السم فى أذنه وقتله . . . ثم تزوج بأرملته واعتلى عرشه ... وحزن بالطبع الأمير « هاملت » لموت أبيه ، كما فجع بزواج أمه السريع من عمه ... إلى أن علم هاملت ذات ليلة أن شبح أبيه قد ظهر هائماً حائماً حول القصر ، فلما التقى به عرف منه سر الجريمة ... ومنذ تلك الليلة وهو يعيش مضطرباً مبلبلا بين الشك واليقين ، طالباً التأكد ليشرع فى

الانتقام ... كيف استطاع شكسبير أن يصوغ من
هذه الحكاية البسيطة رائعته الخالدة ، هذا ما سنراه
الآن من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية ...
تقدم أيها المقلداتى أولا وقل للحضور الكرام من
ستقلد ...وابدأ بتعريفنا بنفسك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... « يذكر اسمه الحقيقى » سأقلد هاملت
وطيف أبيه وعمه ملك الدانمارك وبولونيوس رئيس
الديوان الملكى وهوراسيو صديق هاملت ولايرت
ابن بولونيوس ، ثم الحراس برناردو وفرنسيسكو
ومرسلس ، ثم رجال الحاشية كلهم ... وغيرهم
وغيرهم ...

الحاكى : وانت يا سيدتى ... عرّفينا بنفسك ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... « تذكر اسمها الحقيقى » سأقلد والدة
هاملت جرترود الملكة ، كما أقلد أوفيليا حبيبة
هاملت وابنة بولونيوس ... وغيرهما من السيدات ...

الحاكى : عظيم جداً ... والآن فلنبدأ اللعبة ! ... وهى تبدأ فى

موقف مرصوف أمام القصر ... وهذا القصر هو مسكن وقلعة فى ذات الوقت ... ونحن الآن فى الليل ... فى منتصف الليل ... ويقوم على الحراسة فرنسيسكو ... وفى تلك اللحظة يقبل عليه زميله برناردو ... وهو بالطبع لا يستطيع من ظلام الليل التعرف عليه ... اشرع الآن فى العمل أيها المقلداتى ... وقلد لنا برناردو وقد أقبل على فرنسيسكو ، وما دار بينهما من حديث ...

المقلد : « مقلداً برناردو مقبلا على زميله » من الزول ؟ .. تعرف ! ...

— لا ... وإنما عليك الرد ... قف ، وقل من أنت ؟ ...

— يحيا الملك ! ...

— أبرناردو ؟ ...

— هو بعينه ...

— جئت فى الميعاد بالدقة ...

— سمعت ساعة انتصاف الليل ... أدرك سريرك يا فرنسيسكو ...

— ألف حمد لك على هذه المنة ... البرد قارس وقلبي فى وحشة ...

— أكانت حراستك هادئة ؟ ...

— لم يتحرك فأر فى جحر ...

— إذهب راشداً ، طاب لك الليل ... وإذا لقيت رفيقىّ فى العسس هوراسيو ومرسلس فأوصهما بالاسراع فى المجىء ...

— أظنهما بسمع منى ... هيا وقوفا ! ... من الرجال؟ ...

الحاكى : ها هما هوراسيو ومرسلس يقدمان ... ويقولان معلنين ...

المقلد : (هوراسيو) أصدقاء لهذا البلد ...

— (مرسلس) ومن بطانة ملك الدانمارك ...

— (فرنسيسكو) طاب ليلكم ...

— (مرسلس) انصرف بسلام أيها الجندى الأمين . من حل محلك ؟ ...

— (فرنسيسكو) برناردو حل محلى... طاب ليلكم ...

— (مرسلس) إيه برناردو ! ؟ ...

— (برناردو) ماذا تريد ؟ ... أهوراسيو من أرى هناك ؟ ...

— (هوراسيو) بضعة صغيرة منه ... أو بعضه ...

— (برناردو) مرحباً هوراسيو ... مرحباً أيها الجواد مرسلس ! ...

— (مرسلس) وبعد ... أفعاد ذلك الطيف فى هذه الليلة ؟ ...

— (برناردو) لم أر شيئاً ...

— (مرسلس) هوراسيو يقول إن ذلك محض توهم منا ، ولا يطيق تصديق تلك الرؤيا الرائعة التى رأيناها نحن مرتين ... لذلك ألححت عليه بمساهرتنا الليلة ، دقيقة بدقيقة ، حتى إذا بدا الطيف كعادته تحقق منه وكلمه ...

— (هوراسيو) رويدكما ، رويدكما ... لن يرى ذلك الخيال ...

— (برناردو) اجلس هنيهة ! ... ودعنا نحاصر
أذنيك المستعصيتين على حديثنا ، مع أن
ما وصفناه لك قد رأيناه ليلتين متتابعتين ...
— (هوراسيو) فلنجلس ونسمع برناردو يحدثنا
عن ذلك ...
— (برناردو) فى الليلة البارحة بينما كان هذا النجم
بعينه ، النجم الذى مطلعه إلى غرب القطب ،
قد سار سيرته حتى وصل إلى هذه الجهة التى
يسطع فيها الآن من السماء ... كنت أنا ومرسلس
فى العسس ، والساعة عندئذ نحو من الواحدة ...

الحاكى : «مشيراً إلى جهة ما صائحاً» هاهو ذا الطيف.. الطيف!...

المقلد : (مرسلس) صه! ... اقطع كلامك يا برناردو ...
انظر ... انظر ... ها هو ذا عائد ...
— (برناردو) نعم ... إنما ظاهره ظاهر الملك الذى
مات ...
— (مرسلس) أنت فصيح عليم ... خاطبه ياهوراسيو...

— (برناردو) ألا يشبه الملك ؟... تبينه ياهوراسيو!...

— (هوراسيو) أشبه شيء به ! ... إنى لأقضى عجباً وأرتعد رهبا ...

— (برناردو) كأنه يرغب فى أن يوجه إليه الخطاب...

— (مرسلس) كلمه يا هوراسيو ...

— (هوراسيو) « مكلما الطيف » من أنت أيها الطارق فى هذه الساعة من الليل طروق الغاصب ، متلبساً بشكل ذلك الملك النبيل الشجاع ، الذى تمثلت به جلالة الدانمرك زمنا ، ثم الآن دفنت بدفنه ، باسم السماء أدعوك إلى التكلم ... أجب ...

— (مرسلس) إنه لمغضب ...

— (برناردو) إنه يتولى مترفعاً ...

— (هوراسيو) قف ! ... تكلم ... تكلم ... اعزم عليك ! ...

— (مرسلس) مضى الطيف ولن يرد ...

— (برناردو) ما بالك يا هوراسيو قد أخذتك

الرعدة ، وامتقع وجهك ... أليس هـذا شيئاً أكثر من الوهم ؟ ... ما تظن ؟ ...

— (هوراسـيو) أعترف بين يدى ربى أننى لولا شهادة عينى لما آمنت ...

— (مرسلس) أليس شبيهاً بالملك ؟ ...

— (هوراسيو) بلى ... كما أنت شبيه بنفسك ... تلك شكة سلاحه ودرعه التى أدرعها حين قاتل النرويجى الطماع ، وكعبوسته الليلة كانت عبوسته حين جرت وحشة شـديدة بينه وبين البولونى فاقتلعه من زحافته وأتى به على الجليد ... يا للغرابة ! ...

— (مرسلس) لقد مرّ بموقفنا مرتين قبل هـذه بمثل الهيئة الجريئة التى رأيتها فى مثل هذه الساعة الرهيبة كساعة الموت ...

— (هوراسيو) فى أى مدار يجب أن أدير فكرى لأعلم شيئاً محققاً فى هذا المعنى ؟ ... لست أدرى ، ولكننى أميل بجملة رأيى إلى أن فى الأمر ما ينذر

بانفجار غريب يوشك أن يحدث فى مملكتنا .

(مرسلس) كلام معقول ... لنجلس ... وقل لى إن كنت تعرف لماذا هذه الحراسات المتوالية المرهقة التى يسلمها فى كل ليلة سكان المملكة ؟ ... لماذا تصب تلك المدافع النحاسية كل يوم ، وتجلب الذخائر الحربية من الخارج ؟ ... لماذا يكلف النجارون فى صنع المراكب ذلك العنت الذى لم يدع فرقا بين الأحد وسائر الأسبوع ؟ ... ما ترى هنالك من الشؤون التى يستنزف دونها عرق الجباه بمثل هـــذه السرعة ، وتناط من أجلها بالعمل المكرر أنوار البكرات بظلمات العشى ؟ ... أيقدر أحد على مكاشفتى بهذا السر ؟ ... أتقدر أنت يا هوراسيو ؟ ...

— (هوراســيو) أقدر على ذلك إن صدقت الاشاعات ... أن ملكنا السابق الذى بدا لنا مثاله الآن كان كما علمت قد دعى إلى البراز ...

دعاه فورتنبراس النورويجى متحدياً إياه عن غيرة وكبرياء ... فلما التقيا لم يلبث ملكنا ... أن ظهر عليه فقتله ، فراح فورتنبراس بموجب ذلك العقد المحرر بين المتنازلين وفقاً للقوانين ، مهدور الدم خارجاً لمليكنا عن جميع أملاكه ، كما أن مليكنا من جهته كان قد عاهد بموجب ذلك الاتفاق المسجل على أن يترك لفورتنبراس لو بقى هو الفائز ما يعادل أملاك خصمه ... والآن يا صديقى قد قام نجل فورتنبراس ؛ وهو فى مقتبل الشباب ملىء حماسة وغروراً ، فجمع من تخوم نرويج جيشاً من الآفاقين الشراد ، يكفلهم طعاماً وملبساً مزمعاً أن يخوض بهم غمار كريهة فيها الظفر معقوداً بالشجاعة ... وما تلك الكريهة فيما تعتقده حكومتنا سوى عزم ذلك الفتى على أن يستعيد بالسلاح والإكراه ما فقده أبوه من الأملاك . . . وذلك فيما أظن مبعث تلك

الأهب وسبب ما نقوم به من العسس . . .
وما يذهب ويجيء من البرد العاجلة فى كل مذهب
ومجيء من البلاد ...

— (برناردو) يدور فى خلدى أن العلة هى ما ذكرت ولا سيما أن تلك الأمور تتوافق مع الهيئة الغريبة التى يظهر بها ذلك الخيال جائساً خلال المدينة مدججاً بسلاحه ، شبيهاً كل الشبه بالملك الفقيد ، الذى إنما كان السبب فى شبوب هذه الحروب ... أليس كذلك يا هوراسيو ؟ ...

— (هوراسيو) نعم .. إن الذرة من الغبار تقع فى عين العقل فتزعجها ... حينما كانت روما فى بسطة دولتها وأوج صولتها ، وذلك قبيل أن يسقط يوليوس قيصر من سماء جبروته ، خلت القبور من سكانها ، وتمشى موتاها فى أكفانهم يصخبون ويئنون خلال الطرقات فى روما ... وقد شوهدت نجوم بأذناب نارية ، وأنداء تقطر

دماً ... وانشقت الشمس وخسف سلطان الليل ...
كأن اليوم يوم النشور ... تلك الآيات التي هي نذر
الكوارث الكبرى وطلائع المقادير المجتاحة
ومقدمات الخطوب التي سيلقيها الدهر ، وقد أتت
بأنبائها السماء والأرض في إقليمنا ، وأرتها
مواطنينا إيذاناً بالويل والثبور ... ولكن ...
صه ... صه ! ... انظر ... ها هو ذا عاد ثانية ...
الطيف ... سأتعرض له ولو محقني ... وقفة
أيها الوهم .. إن تكن ذا لفظ تنطق به ، تكلم !...
إن تكن على علم بشيء في إتمامه راحة لك أو رحمة
لي ، تكلم ... !

الحاكي : لقد صاح الآن ديك ، مؤذناً بقرب الفجر ...

المقلد : (هوراسيو) « مواصلا » إن تكن أيها الطيف مستطلعاً
طلع الغيب ، عارفا بما يكنه لوطنك من خير
فستنزله ، وشر فستدفعه بما سبق إليه العلم ،
ويك ... تكلم !... إن تكن في حياتك قد خبأت

كنزاً سحتاً ، ويقولون إن المـال الحرام يقلق
أرواح الموتى فتهب من مرقدها هائمة ... تكلم ...
قف وتـكلم ! ... اعترضه يا مرسلس ...

— (مرسلس) أأضربه بفأسى ؟ ...

— (هوراسيو) افعل إذا أبى الوقوف ...

— (برناردو) ها هو ذا ...

— (هوراسيو) ها هو ذا يا مرسلس ! ...

— (مرسلس) نعم ... لـكنه توارى ... اختفى ...
أخطأنا إليه وهو على تلك الجلالة بمظاهرات
العنف والإكراه ... إنه غير ملموس ... كالهواء ...
ولو مددنا إليه بسوء أيدينا لعادت ضرباتنا التى
لا تصيب إلا الفراغ من السخريات الباردة ...

— (برناردو) كان موشـكا أن يتكلم حين صاح
الديك ! ...

— (هوراسيو) نعم . . وعندئذ وجف كوجيف
المجرم ، إذا أخذته صيحة شديدة ، ثم توارى ...

طرق سمعى قديماً أن الديك وهو صداح الصباح يوقظ بصوته الحاد الرنان ربة النهار ... وأن الأرواح الهائمة ، أفى الماء كانت أم فى النار ، متى سمعت صياحه نفرت سراعاً عائدة إلى محابسها ... وليس ما رأيناه الساعة إلا مصداقاً لذلك الزعم ...

— (مرسلس) نعم . . . أجل لقد تلاشى مع صياح الديك . . .

— (هوراسيو) نعم . . . قد سمعت هذا . . . وإنى أومن ببعضه . . . ولكن أنظر إلى الصباح وقد توشح بوشاحه الأحمر وتقدم بين قطار الندى ، على ذلك اليفاع البادى من الشرق . . . لننصرف من حراستنا ... ولعلك توافقنى على المسير إلى هاملت الصغير فنخبره بما شاهدناه الليلة ... فلعمرى إن الشبح الذى أبى مخاطبتنا لن يأبى مخاطبته ... ألا تريان أيها الزميلان أنه يحسن بنا إبلاغه الأمر ؟ ... فإن ذلك يرضى مودتنا له ولا يخالف واجبنا ...

الحاكى : الآن نحن فى مزارة فى القصر ... وها هو ذا الملك
يدخل ومعه الملكة وهملت وبولونيوس ولايرت
وفلتيمان وكرنيليوس ... وسادة وحشم ... والآن
سيتكلم الملك ... هيا أيها المقلد ... تفضل ! ...

المقلد : (الملك) نعم ... إن ذكرى وفاة شقيقنا لا تزال
متقدة الجذوة فى صدورنا ، لجدير بنا أن ندع
قلوبنا مسترسلة فى حزنها الأليم ، بل خليق
بالأمة جمعاء أن تكون ذات جبين واحد باد
عليه تقطيب الأسف ، غير أن العقل قد غالب
الطبيعة فلطف من شجاها وأجاز لنا خلال اشتغالنا
بالأسى عليه أن نفكر قليلا فى شأننا ، فمن ذلك :
أننا اخترنا هذه السيدة التى هى أختنا بالأمس
حليلة لنا اليوم ، وشريكة فى السلطان على هذه
المملكة المتعددة الأقطار الباسلة الشعوب ،
مخالسين الفرح من جانب الترح بعين تدمع سخينة
وعين تدمع بجانبها قريرة ، مازجين المسرات

بالأحزان والأعراس بالمآتم ، معايرين بمعيار متعادل كآبتنا وابتهاجنا ... أما بعد فالأمر الذى جمعتكم من أجله هو ماعلمتم من أمر فورتنبراس... فإن هذا الفتى لم يقدر كفايتنا قدرها ، ولعله توهم أن وفاة أخينا المحبوب قد ضعضعت هذا الملك وقوضت فيه كل نظام ، فاتخذ من وهمه حليفاً لا حليف سواه ، وبعث إلينا ببلاغ مهين يسترد به الأملاك التى فقدها أبوه ، والتى كسبها أخونا الشجاع محللة بأمتن المحلات المشروعة ... إلا أننا قد أطلنا الكلام فى شأنه ... فلنذكر ما دعانا لعقد هذا الاجتماع ... ذلك أننا كتبنا إلى ملك نرويج عم فورتنبراس ، ولما كنا على ثقة من أن ذلك الملك الذى بلغ من العمر عتيا وأصبح مقعداً لا يفارق المهد ، لم يعلم بما أزمعه ابن أخيه وبما هو شائع فيه بين أبناء نرويج من اتخاذ الأهبة وتجييش الجيوش ، بدا لنا أن نقفه على ماهو جار

بين رعاياه ، وأن نوفدك يا كورنيليوس المقدام
ونوفد معك فلتيمان هذا لتحملا سلامنا إلى الملك
الشيخ ، غير مجيزين لكما الخروج عن الحدود
المبينة لكما فى هذه الكلمات ... فسلام عليكما
وليدللنا إسراعكما على اهتمامكما بامتثال أمرنا ...

— (كرنيليوس وفليتمان) فى هذا الشأن وفى كل شأن
سواه إنا لمخلصان ...

— (الملك) لا يخامرنا ريب فيكما ، فتوجها بسلام ،
وبرضى منا ... والآن يا لايرت ما جد لديك ؟ ...
أنت لا تلتمس من لدن ملك الدنمارك إلا ما يكون
معقولا ، ولا تضيع فيه الأقوال سدى ... فأيما
سؤل كان لك فإنه لعرض منا عليك ، لا طلب
مرفوع منك إلينا ... ليس الرأس أشد ارتباطا
بالقلب من أبيك بعرش الدانمارك ، ولا الذراع
بأخدم للشفة الآمرة من أبيك لصاحب هذا
العرش ، فما بغيتك يا لايرت ؟ ...

— (لايرت) يا مولاى المهيب ، ألتمس إذناً بالرجوع إلى فرنسا ... فقد فارقتها مسرعاً لأداء واجب التهنئة بارتقائك السرير ... والآن قد شاقني العود إليها ، فأنا جاث بين يدى كرمك للترخص في السفر ...

— أفستأذنت أباك ؟ . . ما يقول بولونيوس ؟ ...

— (بولونيوس) قد ألح بالاستئذان يا مولاى . . وألحف وما زال بى حتى أذنته بكل إبطاء ، وأضرع أن تمنحه الأجازة بالسفر ...

— (الملك) تخير الساعة التى فيها رضاك ، فإن وقتك منذ الآن لك ... وأمانينا الطيبة تصحبك ... والآن أى هاملت ، أى ابن أخى بل بنى ...

الحاكى : ها هو ذا هاملت القائم منتحياً منفرداً كأنه يكلم نفسه ...

المقلد : (هاملت) شيئاً أكثر من ابن الأخ ، وشيئاً أقل من الإبن ! ...

— (الملك) من أين يأتى لك يا هاملت أن سماءك
لا تزال عابسة الغيوم ؟ ..
— (هاملت) عفواً يا مولاى ! ... إن أنا إلا فى
الشمس الساطعة ! ...

الحاكى : وما هى ذى الملكة أم هاملت تريد أن تلاطفه ...
هيا أيتها المقلدة ...

المقلدة : حبيبى هاملت ! ... دع هذه الألوان العاتمة القاتمة ، واتجه بنظر الوداد إلى ملك الدانمارك ... ولا تلبث آخر الدهر منطبق الحاجب على الحاجب ، باحثاً فى الثرى عن أبيك النبيل ... أنت تدرى أن الموت نهاية كل حى . . . وأن الدنيا إنما هى مجاز إلى الخلود ...

المقلد : (هاملت) أجل يا سيدتى ... الموت نهاية كل حى ...

المقلدة : إن كان الأمر كذلك فلم تخاله غريباً ؟ ...

المقلد : إخاله ؟! ... كلا يا سيدتى ، ليس الأمر غريباً بالمخيلة ... ولكن بالواقع ... وما من معرفة بينى وبين المخيلة ... يا أيتها الأم الشفيقة ليس دثارى الأسود كالمداد ،

ولا سائر ما يعتد من آلات الحداد ، ولا التصعيد أو التصويب للزفرات ، ولا شحوب الوجـــه واكفهراره فى المسرات ، ولا انهمال المدامع بمثل فيض المنابع ، ولا علائم الحزن كافة أو ضروبه قاطبة أو شكوله جميعاً بوافية لى فى الشهادة بصدق حزنى ، أو بكافية فى الدلالة على فرط شجنى ... ذلك مما يصح أن تقال فيه لفظة « يخال » ... ولكن فى هذا الداخل من اللاعج والضرام ما لا تستطيع بيانه المظاهر ...

الحاكى : ها هو ذا الملك أيضاً يريد أن يهون على هاملت ...

المقلد : (الملك) إن فى اشتداد جزعك ياهاملت لدليلا على جودة عنصرك . . . ولكن أباك فقد أباه من قبل ، كما أن جدك فقد كذلك جده ... وهذه سنة الله ... فالتشدد فى الحزن والإصرار على استمراره إلى ماوراء الزمن الجائر أشبه بالثورة فى وجه القدر ، والمعصية لأمر الله ، وإنك لأقرب الناس إلينا ... وأحبهم لدينا ... فليعلم ذلك الناس ، وليكن لك فيه سلوان ،

ثم إنا لنرغب إليك فى العدول عن العودة إلى مدارس
ويتنبرج بل نضرع إليك أن تبقى بيننا قرة لأعيننا ...

المقلدة : لعلك لا تخيب رجاء أمك ، وابتهالها إليك : أن تقيم
معنا وتصدف عن الدراسة فى ويتنبرج ...

المقلد : (هاملت) سأطيعك يا سيدتى بما فى وسعى ...
— (الملك) حسن ... هذا جواب حنو وكياسة ...
ليكن مقامك فى الدانمارك كمقامنا بالامراء ..هلمى
يا سيدتى ... إن هذه الرقة من هاملت قد وجدت
قلبى باسمة ، ومن أجلها سأشرب كؤوس اليوم ،
على قصف المدافع ، حتى تتجاوب السماوات
برجع الأصوات الصاعدة إليها من الأرضين ...
هلمى . . .

الحاكى : وهنا يخرج الجميع ما عدا هاملت . . . إنه جعل يناجى
نفسه . . .

المقلد : (هاملت) أواه ... ليت هذا الجثمان ، وما أصلبه على
الرزايا والكوارث ، ليته يذوب ويسيل وينحل إلى

ندى ... بل ليت بارىء الإنسان لم يحرم عليه قتل نفسه ... أى إلهى ... أى إلهى ... ما أثقل جميع مصطلحات هذا العالم وما أسفلها وما أقدمها وما أقلها جدوى ! ... قبحاً لهذه الدنيا وتباً لها ! ... إنها لحديقة غير مهذبة ، ينمو فيها النبات فطريا ... وتستولى عليه الأعشاب السمجة ! ... إلى هذا الحد وصلت الأمور ؟ ... مات منذ شهرين أو أقل ملك وأى ملك ! ... جواد لا يدانيه هذا إلا إذا دانى الهر الأسد ... وما كان أرقه لوالدتى ، وأعطفه عليها ، حتى النسيم العليل لو مس وجهها بقوة لراعه وآلمه ... ياللسماء ! ... ياللأرض ! ... بئست الذكرى ... إذا تذكرت كان يعلق بها علاقة من لا يزيده تمثيل الطعام سوى تماد فى الغرام ... وهذا ... هذا ما انتهى إليه وفاؤها فى شهر ... لندع التفكير فى ذلك ... يا سرعة التحول لو سميت لسميت امرأة ! .. فى شهر قصير قبل أن يعتق الحذاء الذى مشت به

وراء الجنازة باكية ، وأى بكاء غزير ! ... يا عجباً !..
أتلك هى هذه ؟ . . . تالله لو أصيب وحش ضار
لم يوهب أدنى تعقل بما أصابها لكان إعواله أطول
مدى من اعوالها ! ... تزوجت من عمى وأين هو من
أبى ؟ ... أين هرقل القدير من ضعيف مثله ؟ ...
تزوجت ولم ينقض الشهر ، ولما تنصل حمرة جفونها
من ملح دموعها ... ويلها من عجلة عجلتها إلى
مهد الحرام !... ساء ما عملت وساءت عقباه ...
ولكن تفطر يا قلب ولا تنطلق يا لسان ...

الحاكى : وهو فى إطراقة الحزين يدخل عليه هوراسيو
ومرسلس وبرناردو ... ويبادئه هوراسيو بالتحية ...

المقلد : — (هوراسيو) التجلة لسموكم ! ...
— (هاملت) يسرنى أن أراكم فى عافية ... أما أنت
يا هوراسيو ؟ ...
— (هوراسيو) أنا هو يا مولاى ... وإنى لخادمك
الأمين أبد الدهر ...

— (هاملت) قل يا ... اعفنى من قول يا سيدى ، ولأدعك بياصديق ... ماذاجاء بك وبمرسلس؟ ...

— (مرسلس) يا مولاى الجواد ...

— (هاملت) أنا مبتهج برؤيتك ... مسيت بخير ياسيدى ، ولكن ماذاحملكما على ترك ويتنبرج ؟ ...

— (هوراسيو) فطرة البداوة يا مولاى الكريم ...

— (هاملت) لا يا هوراسيو ... لا أجيز لألد أعدائك أن يتكلم عنك هكذا ... فلا تحمل أذنى وقر هذه الشهادة منك فيك ... أنا أعرف أنك لست شروداً ولا أفاقياً ... فما الذى أتى بك إلى إلسنور ؟ ... سنعلمك الشرب بالأكواب المترعة قبل أن تفارقنا ...

— (هوراسيو) كان قدومى لأحضر مشهد أبيك ...

— (هاملت) أرجو يا رفيق ألا تهزأ منى ... أحسبك قدمت لتحضر زفاف أمى ! ...

— (هوراسيو) حقاً يا مولاى ... إن العرس والمأتم

قد تعاقبا عن كثب ...

— (هاملت) حكمة واقتصاد يا هوراسيو !... محض، اقتصاد ! ... اللحوم التى قدمت حنيذة فى المناحة قدمت باردة فى الفرح ! ... ليتنى لقيت فى السماء أعدى أعدائى ، ولم أر ذلك اليوم .. هوراسيو ... أبى ... كأنى أرى أبى ...

— (هوراسيو) أين يا مولاى ؟ ...

— (هاملت) بعينى قلبى يا هوراسيو ...

— (هوراسيو) رأيته قديماً وكان هو الكمال بعينه ...

— (هاملت) كان رجلا لن أرى له مثيلا ...

— (هوراسيو) مولاى ... كأنى رأيته الليلة البارحة ! ...

— (هاملت) رأيت من ؟ ...

— (هوراسيو) أباك يا مولاى ...

— (هاملت) الملك أبى ؟! ...

— (هوراسيو) هدىء من روعك ريثما أقص عليك

الأعجوبة التى شهدها هذان السيدان ، وشهدتها معهما الليلة ...

— (هاملت) ناشدتك الله تكلم ! ...

— (هوراسيو) توالت ليلتان على هذين السيدين : مرسلس وبرناردو كانا فيهما يسهران للعسس ... ورأيا فى الساعة الهادئة الهامدة ، ساعة انتصاف الليل ما سنسمعه : رأيا مثالا شبيهاً بأبيك فى شكة تامة من السلاح ، ماشياً مشية وقار ماراً بهما على مهل ... ثلاث مرار خطر إزاءهما قيد هذه العصا ، وجفونهما معقودة به من الرعب ... فكأن جسميهما قد تحولا إلى شحم مذاب من الخوف ... وقد لبثا صامتين لا ينطقان ، ثم كاشفانى بهذا السر الرهيب ... فتوليت الحراسة معهما فى الليلة الثالثة ... وهناك رأيت مصداق ما وصفاه لى ... ظهر الطيف فى الميقات الذى عيناه بالهيئة التى مثلاها ، فعرفت أباك ... وما يدى أشبه بيدى

من ذلك الطيف به ...

– (هاملت) أين ؟ ... أين جرى ذلك ؟ ...

– (مرسلس) في هذا الموقف الذي نتولى منه الحراسة ...

– (هاملت) ألم تخاطباه ؟ ...

– (هوراسيو) خاطبته يا مولاي فلم يجب ... غير أنه رفع رأسه مرة وبدأ يتحرك كأنه سيتكلم ... فما هي إلا اللحظة التي بدا منه هذا العزم حتى صاح ديك الصباح صيحة عالية فاهتز لها وتوارى على إثرها ...

– (هاملت) عجب عجاب ! ...

– (هوراسيو) وحق كحقيقة وجودي ... فلهذا اعتقدنا أن الواجب يقضي علينا باطلاعك على ما كان ...

– (هاملت) إني لمضطرب أيها السيدان ... أفأنتما في العسس الليلة ؟ ...

(الجميع) أجل يا مولانا ...

— (هاملت) كان فى شكة تامة من السلاح قلتما ؟ ...

— (الجميع) نعم ...

— (هاملت) إذن لم تريا وجهه ؟ ...

(هوراسيو) بل رأيناه ... لأن الخوذة كانت مرفوعة عن وجهه يا مولاى ...

— (هاملت) أ كان بادياً عليه الغضب ؟ ...

— (هوراسيو) كان ملمحه أدنى إلى ملمح الكآبة منه إلى الغضب ...

— (هاملت) أبه اصفرار أم احمرار ؟ ...

— (هوراسيو) كان لونه أصفر شاحباً ...

— (هاملت) وكان محدقاً بكما ؟ ...

— (هوراسيو) تحديقاً ... بلا تحول ...

— (هاملت) ليتنى كنت معكم ...

— (هوراسيو) لو كنت لدهشت شديداً ...

— (هاملت) لا شك ... لا شك ... أأقام مديداً ؟ ...

— (هوراسيو) عدة المائة ببعض التأنى ...

— (مرسلس وبرناردو) أو تزيد قليلا ...

— (هاملت) كانت لحيته موخوطة بالشيب ؟ ...

— (هوراسيو) كما رأيتها وهو حى : لحمة من عنبر وسدى من فضة ! ...

— (هاملت) سأسهر الليلة معكم لعله يجىء ...

— (هوراسيو) سيعود وأنا الضمين .

— (هاملت) إذا لاح لى وعليه ملامح والدى العظيم ، فسأخاطبه ولونهتنى جهنم عن أن أتكلم ... أرجو منكم جميعاً إذا كنتم لم تفشوا سر هذه الرؤيا أن تستمروا فى الكتمان ... ومهما يحدث فى هذه الليلة فليجل فى أذهانكم ، ولكن إياكم أن تجروه على ألسنتكم . . . سأشكر لكم خلوص ودكم ... وسلام عليكم ... الملتقى على الموقف المرصوف بين الحادية عشرة ونصف الليل ...

— (الجميع) التجلة لسموكم ! ...

— (هاملت) إن أريد إلا لمحبتكم كما منحتكم محبتى ... أستودعكم الله ! ...

الحاكى : وكلهم عندئذ يخرجون ... إلا هاملت فإنه قد بقى قليلا تتلاعب بأفكاره شتى الهواجس وبعواطفه شتى الانفعالات ...

المقلد : (هاملت) روح أبى مسلحة بالسلاح التام ! ... ليست الأمور جارية فى أعنتها ... وإنى لموجس كيداً خفياً ... ما أبطأ الليل على الناظر ... إهدأ يا روعى !... حتى يجىء الليل ... واسكنى يانفسى ... إن مساوىء الأعمال لو دفنت تحت طباق الأرض لخرجت من مخابئها وبرزت للعيون ...

. . . .

. . . .

دون جوان

لموليـــير

ترجمة : ادوار ميخائيل

مراجعة وتقديم : نبيل الألفى

الحاكى : أنا الحكاواتى ... «يذكر اسمه الحقيق» أعرض عليكم
لعبة للمؤلف موليير ... إسمها « دون جوان » ...
كان يا ما كان فى سالف العصر والأوان زير نساء
إسمه « دون جوان » زنديق هرطيق لا يؤمن بدين
ولا ديان ... يخدع الزوجة ... ويغرر بالفتاة ...
إرضاء لشهواته ونزواته ... وفى حكايتنا هذه كان قد
أغرى فتاة طيبة تقيم فى دير ، حتى أخرجها من ديرها
وتزوجها سراً ... ثم سئمها كعادته فى السأم والتنقل ...
فهجرها ... كان إسمها « دونا إلفيرا » ... وكان لها
تابع إسمه « جسمان » ... وكان لدون جوان تابع هو
الآخر إسمه « سجاناريل » ... كيف دارت هذه
القصة ... وكيف صنع منها « موليير » هذه اللعبة ؟ ...
هذا ما سنعرفه الآن من خلال لعب المقلداتى وزميلته

المقلداتية ... تفضل يا حضرة المقلداتى وقل للحضور الكرام من ستقلد ؟ ... وابدأ بتقديم نفسك ...

المقلد : أنا المقلداتى « يذكر اسمه الحقيقى » سأقلد دون جوان وسجاناريل وجسمان ودون كارلوس ودون ألونس ودون لويس وبيير وتمثال الحاكم ومسيو ديمانش التاجر ولا رامسى السياف ثم الشحاذ والشبح حتى الخدم والحشم و ...

الحاكى : وإيه كمان ؟ . أنت زحمة قوى ... كفايه ! ... وانت يا حضرة الست ؟ ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... «تذكر اسمها الحقيقى» سأقلد دونا إلفيرا وشارلوت وماتيرين والفلاحتين ..

الحاكى : جميـــل ! .. فلنبدأ اللعبة إذن . . . مكان اللعبة فى صقلية .. وقد تقابل فيها سجاناريل تابع دون جوان مع جسمان تابع دونا إلفيرا ... اشرع الآن فى اللعب يا حضرة المقلداتى ... وقلد لنا سجاناريل وفى يده علبة نشوق يتنشق منها ويحادث جسمان ...

المقلد : «يقلد سجاناريل وهو يتنشق محادثاً جسمان» مهما استطاع أرسطو وجميع الفلاسفة أن يقولوا ، فلا شيء أفضل من النشوق إنها متعة أفاضل الناس ... وما استحق أن يعيش من عاش بغير نشوق . . . فهو لا يقتصر على إنعاش النفس وتنظيف المخ ، بل إنه يربي الناس على الفضيلة ويعلمهم الكرم ... ألا ترى بوضوح كيف يتصرف الإنسان مع جميع الناس بمنتهى المروءة بمجرد أن يتناول النشوق ، وكيف يكون منتشياً عندما يوزعه ذات اليمين وذات اليسار وفي كل مكان يوجد فيه ؟ وهو لا ينتظر أن يطلب أحد منه ذلك ... بل إنه يعرف مقدماً رغبة الناس فيه ... حقاً ان النشوق يوحي لكل من تعاطاه بالكرم والفضيلة . . . ولكن لنكف عن هذا الموضوع الآن ... ولنستأنف حديثنا ... إذن يا عزيزي جسمان

كان رحيلنا مفاجأة لسيدتك دونا إلفيرا ... فأتت وراءنا للبحث عنا ، وقلبها الذي عرف سيدي كيف

يسيطر عليه تماماً ، لم يستطع كما تقول إلا أن يجبرها على أن تأتى إلى هناجر يأوراءه ؟ هل تريدفيما بيننا أن أصادحك برأيي ؟... أخشى ألا يقابل حبها بالمثل ... وألا تثمر رحلتها إلى هذه المدينة إلا نتيجة بسيطة ، كان فى استطاعتكما أن تنالا مثلها لو أنكما لم تتحركا من مكانكما ...

— وما السبب؟... قل لى ياسجاناديل ؟... ما الذى أثار فى نفسك هذا الخوف المشئوم ؟ ... هل أسر إليك سيدك بشيء فى هذا الموضوع ؟ ... وهل قال لك إنه شعر نحوها بفتور اضطره إلى الرحيل ؟ ...

— لا ، ولكنى أعرف تقريباً مجرى الأمور من مقدماتها ... فعلى الرغم من أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن هذا الموضوع ، فإنى أراهن بأن الحقيقة هى كما ذكرتها لك تقريباً ... ربما كنت مخطئاً ... ولكن تجربتى معه فى مثل هذه الأمور تنير لى الطريق بعض الشيء ...

— ماذا ؟... أيكون إذن هذا الرحيل المفاجيء خيانة من دون جوان ؟ ... وهل يستطيع أن يجرح سيدتى إلفيرا فى حبها الشريف ؟ ...

— لا ... ذلك أنه مازال شاباً وليس عنده الشجاعة ...

— رجل مثله ينتمى إلى طبقة النبلاء يعمل مثل هذا العمل الدنىء ؟ ! ...

— آه ، نعم ... طبقة النبلاء ، هذا سبب وجيه يمنعه من القيام بهذه الأعمال ! ...

— ولكنه مرتبط برباط الزواج المقدس ! ...

— آه ياجسمان يا مسكين ! ... ياصديقى العزيز ، إنك لم تعرف من هو بعد ، صدقنى ، أى نوع من الرجال هو دون جوان ...

— حقاً انى لا أعرف أى نوع من الرجال هو ، إن كان حقاً قد غدر بنا بهذه الطريقة ... ولا أستطيع أن أفهم كيف أنه بعد كل هذا الحب وبعد كل هذا التهافت وكل هذه العواطف الحارة التى كان

يبديها لها والأمانى والتأوهات والدموع ، وكل تلك الخطابات الغرامية ، ومظاهرات الحب الملتهبة ، وترديد أغلظ الأيمان ... وبالاختصار بعد كل هذا التحمس وكل ما أبداه نحوها من الدفاع ، حتى أنه تغلب على العقبة المقدسة وأخرج دونا الفيرا من الدير ليستحوذ عليها ... أقول إنى لا أفهم كيف يطاوعه قلبه بعد كل هذا ويخلف فى وعده ؟! ...

ـ أما من جهتى فإنى لا أجد صعوبة فى فهم كل هذا ... ولو كنت تعرف ذلك الماكر الملعون ، لوجدت الأمر سهلا بالنسبة إليه ... أنا لا أقول أن عواطفه قد تبدلت من جهة دونا إلفيرا ، فما زلت غير متأكد من ذلك ، لأنك تعرف أنى رحلت من قبله حسب أوامره ، وأنه لم يتكلم معى منذ وصوله ... ولكنى أقول لك على سبيل الاحتياط ، وذلك فيما بيننا ، إن سيدى دون جوان أكبر

سافل لئيم حملته الأرض ، مجنون كلب شيطان ملحد ، لا يؤمن بالجنة ولا بالنار ، يعيش فى هذه الحياة كوحش مفترس أو كخنزير قذر ، كافر هرطيق يصم أذنيه عن استماع جميع المواعظ التى توجه إليه ، ويهزأ بكل ما نؤمن به ... تقول لى إنه متزوج من سيدتك ؟ ... صدقنى إنه يستطيع أن يعمل أكثر من ذلك ليرضى شهواته ، وأنه كان من الممكن ألا يتزوجها هى فحسب بل ومعها أنت وكلبها وقطها ... فعقد الزواج لا يكلفه شيئاً ... وهو لا يستخدم إلا هذه الطريقة لصيد النساء ... فإنه يتزوجهن كيفما اتفق ... سيدة ، آنسة ، متمدنة ، فلاحة ، امرأة مثيرة أو فاترة كلهن عنده سواء ، ولو قلت لك أسماء من تزوجهن فى مختلف النواحى لما انتهت القائمة حتى المساء .. يبدو لى أنك مندهش ، وقد امتقع لونك من هذا الحديث... علماً بأن هذا كله ماهو إلا صورة سريعة لشخصيته...

ولكى تكمل الصورة الحقيقية فإن ذلك يستلز
مني وقتاً طويلا ... إذ يحتاج الأمر إلى لمسات
أخرى ... يكفى أن غضب السماء لابد وأن يسحقه
ذات يوم ... كنت أتمنى أن أخدم الشيطان ولا
أخدمه ... لقد جعلنى أشاهد كثيراً من المخازى ،
حتى أنى أتمنى أن يكون قد مضى إلى حيث ألقت ...
ما أبشع أن يكون الرجل النبيل شريراً ... لأنه
يجب علىّ أن أبدى له الإخلاص رغم احتقارى
إياه ... ويدفعنى الخوف منه إلى التحمس ، وإلى
تزييف عواطفى ... فكثيراً ما أضطر إلى أن
أتظاهر باستحسان أشياء أكرهها من كل قلبى ...
أوه ها هو ذا قادم هناك ، يتجول فى القصر ...
لنفترق ... ولكن دعنى أقل لك هذا : لقد اعترفت
لك بهذا الاعتراف بكل صراحة ، وقد زلف
ذلك من لسانى بسرعة ، ولكن إن حدث وبلغت
أية كلمة منه مسامع سيدى ، فسوف أقول له جهاراً

أنك أنت الذى لفقتها ...

الحاكى : لقد ظهر دون جوان واتجه إلى تابعه سجاناريل ... قلد لنا الآن أيها المقلداتى دون جوان وهو يحادث تابعه ... إنه بالطبع قد لمحه مع جسمان ... ولا بد أنه سيسأله فى ذلك ...

المقلد : من ذلك الرجل الذى كان يكلمك ؟ ... يخيل إلىّ أنه يشبه إلى حد كبير صديقنا جسمان خادم إلفيرا ؟ ...

— هو شىء مثل ذلك تقريباً ...

— ماذا ؟ ... أهو جسمان ؟ ...

— هو بنفسه ...

— ومنذ متى جاء إلى هذه المدينة ؟ ...

— منذ ليلة أمس ...

— وأى أمر جاء به إلى هنا ...

— أظن أن عندك فكرة كافية عما يمكن أن يشغل باله .

— رحيلنا من غير شك ...

— لقد سبب للمسكين غماً كثيراً ، وكان يسألنى عن السبب فى ذلك ...

— وماذا كانت إجابتك ؟ ...

— قلت له إنك لم تقل لى شيئاً عن هذا الأمر ...

— وأنت ما رأيك ؟... وما نظرتك إلى هذا الأمر ؟...

— أظن ، دون أن أسىء إليك ، إنك تفكر فى غرام جديد ...

— هل تعتقد ذلك ؟ ...

— نعم ...

— حسن .. إنك لم تخطىء ... ويجب أن أعترف لك بأن هناك امرأة أخرى طردت إلفيرا من فكرى ...

— هيه !... يا إلهى !... إنى أحفظ سيدى دون جوان عن ظهر قلب ... وأعلم أنك تملك قلباً يجعلك أكبر « زير نساء » فى العالم ... قلباً يسره أن يتنقل من قيد إلى آخر ولا يطيب له أبداً أن يظل فى مكان واحد ...

— ألا تجد أنى على حق فى أن أتنقل به كما أشتهى ؟...

— آه ... سيدى ...

— ماذا ؟ ... تكلم ! ...

— بالتأكيد أنت على حق ، إذا شئت ، ولا يمكن معارضتك فى ذلك ... ولكن إذا لم تشأ فربما اختلف الأمر ...

— حسناً ... إنى أعطيك الحرية فى أن تتكلم وتعبر عما يجول بخاطرك ...

— فى هذه الحاله يا سيدى ، أقول لك بصراحة إننى لا أومن أبداً بطريقتك ... وأجد أنه من الخطأ الكبير أن يحب الإنسان شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً كما تفعل أنت ...

— ماذا؟... هل تريد أن يجبر الرجل على أن يظل مرتبطاً بأول امرأة استولت على قلبه ، وأن يهجر العالم من أجلها ؟ ... وألا ينظر إلى امرأة أخرى ؟ ...

ما أجمل أن يدّعى الإنسان ان الإخلاص فضيلة

وأن يدفن نفسه إلى الأبد فى حب واحد ، وأن يظل منذ فجر شبابه غافلا عن كل جمال آخر قد يلفت نظره ... لا ... لا ... إن الثبات لا يلائم إلا البلهاء من الناس ... جميع الحسناوات لهن الحق فى أن يسلبن لبنا ... ولا يصح أن يكون لأول حسناء التقينا بها الحق فى أن تسلب الأخريات نصيبهن العادل فى قلوبنا ... أما من جهتى فإن الجمال يبهج نفسى أينما وجدته ... وما أسهل ما أنقاد إلى قوة جاذبيته العذبة ... مهما ارتبطت بحسناء ، فإن الحب الذى أكنه لها لا يحملنى على ظلم الأخريات ... إن لى عينين احتفظ بهما لأرى مزاياهن جميعاً ، وأقدم فروض الطاعة والولاء لكل واحدة تقودنى إليها طبيعتى ، مهما يكن من أمر فإنى لا أستطيع أن أمنع قلبي عن كل من أراها جديرة بالحب ... ولو كان عندى مائة ألف قلب فإنى أهبها جميعاً

للمرأة الجميـــلة التى تطلب حبي . . . فالعاطفة
الوليدة لها سحر يقصر دونه الوصف ، ولذة
الحب فى التنقل . . وإن الإنسان ليشعر بمتعة
كبرى حين يخضع قلب فاتنة صغيرة بثبات
العبارات الدالة على الحب والوفاء ، وحين يلاحظ
القدرات المختلفة التى تطرأ عليها يوماً بعد يوم ،
وحين يحارب بالتحمس والدموع والتأوهات
الحياء البرىء لنفسية يعز عليها أن تلقى سلاحها ،
وحين يتغلب بالتدريج على كل التمنعات الصغيرة
التى تقاومنا بها ، ويقضى على كل حيرة الضمير
التى تفاخر بها ، ويقودها بلطف ورقة إلى حيث
يريدها أن تذهب ... ولـكن ، عندما يصبح الرجل
سيد الموقف ؛ فلاشىء هناك ينقصه أو يتمناه ...
إن كل جمال الرغبة قد انتهى ... إننا ننام فى
هدوء هذا الحب ، حتى يظهر حب جديد يوقظ
رغباتنا وتفرح قلوبنا بغزو جديد ... النهاية ،

ليس هناك ألذ من الانتصار على مقاومة امرأة حسناء ... وأنا عندى فى هذا الموضوع طموح الغزاة الذين يطيرون دائماً من نصر إلى نصر ، ولا يستطيعون أن يحددوا مدى رغباتهم ... لا شيء يستطيع أن يقاوم حدة رغباتى ... إننى أشعر فى قرارة نفسى أن لى قلباً يستطيع أن يحب العالم ... ولكم أتمنى — كالإسكندر — أن تكون هناك عوالم أخرى لأستطيع أن أتابع فيها غزوات حبى ...

— ما شاء الله ! ... يا لفصاحة اللسان !... يبدو أنك حفظت هذا عن ظهر قلب ، وتتكلم كأنك تقرأ من كتاب ...

— وماذا لديك تقوله فى هذا ؟ ...

— وذمتى ! ... أريد أن أقول : لا أعرف ماذا أقول ... ذلك أنك قلبت الأمور بطريقة يبدو معها أن الحق معك ... ومع ذلك فمن المؤكد أن

الحق ليس معك ... كانت لدى أجمل الأفكار فى العالم ، ولكن كلامك هذا قد جعلها تختلف جميعها فى ذهنى ... دعنا من هذا الآن ... سوف أتناقش معك مرة أخرى ، وسأحضر جميع براهينى مكتوبة على ورق ...

— حسنا تفعل ...

— ولكنى يا سيدى ... لو كان لى أن أستعمل الحرية التى سمحت لى بها ، لقلت لك إنى أشعر بالخجل بعض الشىء من الحياة التى تحياها ...

— كيف ؟ ! ... ما هى الحياة التى أحياها ؟ ...

— حياة جميلة جداً ، أن تشاهد مثلاً وأنت تتزوج فى كل شهر كما تفعل ...

— وهل يوجد شىء أمتع من هذا ؟ ...

— حقاً ... وإنى أوافق أنه ربما كان هذا ممتعاً جداً ومسلياً جداً ... وكان بودى أن أفعل نفس الأمر لو لم يكن فى ذلك أى ضرر ... ولكن يا سيدى

أن تستهتر هكذا بسر من الأسرار المقدسة و ...

— هيا ... هيا ... هذا أمر بينى وبين السماء ، وسوف نسويه معاً من غير أن تشغل بالك ...

— والله يا سيدى ، لقد سمعتهم دائماً يقولون : إن من أقبح الأشياء أن يجدف الإنسان بالسماء ، وأن نهاية الكافرين بها لن تكون طيبة ...

— مهلا ... يا رئيس الأغبياء ! ... قلت لك إنى لا أحب المواعظ ! ...

— إذن فلن أكلمك فى هذا الشأن ، وليرعانى الله ... إنك تعرف ماذا تفعل ، وإن كنت لا تؤمن بشىء ، فلك وجهة نظرك ... ولكن هناك بعض صغار الناس الأغبياء الذين يكفرون بالسماء دون أن يعرفوا لذلك سبباً ، وهم يظنون أن تجديفهم هذا يرفع من شهرتهم بين الناس ... ولو كان لى سيد من هذا النوع لقلت له فى وجهه : « هل تجرؤ أن تهاجم السماء ولا ترتعد فرائصك عندما تسخر

هكذا بأقدس المقدسات ؟ هل يليق بك يا دودة الأرض الحقيرة ويا أيها القزم الصغير (إننى أخاطب السيد الذى تكلمت عنه) هل يليق بك أن تحشر نفسك وتسخر من أشياء يقدسها جميع الناس ؟... هل تظن أنك مادمت من النبلاء وتلبس الباروكة الشقراء ذات الشعر المجعد وتضع الرياش فى قبعتك وترتدى رداء مذهباً وتضع أشرطة متوهجة كالنار (إننى لا أكلمك طبعاً يا سيدى بل أكلم السيد الآخر) هل تظن هذا كله يجعلك أكثر الناس براعة ، وأن كل شىء مباح لك ، وأن كائناً من كان لن يجرؤ على مصارحتك بحقيقتك ؟... تعلم منى أنا خادمك ، إن السماء تعاقب ـ إن آجلا أو عاجلا ـ كل الكفار ، وإن الذى يحيا حياة شريرة يموت ميتة شريرة ، وإن...

— صه ! ...

— لماذا ؟ ... ما الأمر ؟ ...

— الأمر هو أن امرأة جميلة قد سيطرت على قلبي ، وأن سحر مفاتنها هو الذي أغراني بالرحيل وراءها إلى هذه المدينة ...

— ولكن ألا تخشى شيئاً هنا ياسيدى من موت ذلك الحاكم الذى قتلته منذ ستة أشهر ؟ ...

— وما الداعى للخشية ؟ ... ألم أقتله كما يجب ؟ ...

— حسب الأصول وأكثر من الأصول ، يكون غير محق لو أنه اشتكى ...

— لقد برئت فى هذه القضية ...

— نعم ... ولكن ربما لم تطفىء هذه البراءة الضغينة الموجودة فى نفوس الأهل والأصدقاء و ...

— آه ... لا تدعنا نفكر فى المكاره التى يحتمل أن تحل بنا ... ولنفكر فقط فيما يحتمل أن يسبب لنا المتعة والسرور ... إن المرأة التى أكلمك عنها شابة صغيرة مخطوبة ، ومن أجمل من رأيت فى الوجود جاء بها إلى هنا نفس الرجل الذى سوف يتزوج

منها ... وقد أتاحت لى المصادفة أن أرى هذين العاشقين منذ ثلاثة أو أربعة أيام ... ولم أر أبداً شخصين يخلصان لبعضهما مثل هذا الإخلاص ، أو يحبان بعضهما مثل هذا الحب ... إن ما كان يبدو على عواطفهما المتبادلة من حنان أثار فى نفسى المشاعر وهز قلبى هزاً عنيفاً ... فابتدأ حبى بالغيرة ... نعم ... لم أستطع من أول لحظة أن أتحمل رؤيتهما معاً ينعمان بهذه السعادة ، فأشعل الغيظ الرغبة فى نفسى ، وتصورت مقدار اللذة الكبرى التى سوف أشعر بها عندما أكدر صفوهما المتبادل ، وأحطم هذه العلاقة التى أهانت كبرياء قلبى ... ولكن محاولاتى كلها حتى الآن كانت غير مجدية ، فلجأت إلى آخر علاج : هذا « العريس » الموعود ينتوى اليوم إمتاع حبيبته بنزهة فى البحر ... وقد أعددت كل شىء لأحقق رغبتى دون أن أقول لك كلمة واحدة ... فاستأجرت

مركباً ورجالا أستطيع بواسطتهم بكل سهولة أن أخطف الحسناء ...

— آه يا سيدى ...

— ماذا ؟ ...

— لقد أحسنت صنعاً ، فأنت تأخذ الأمور كما يجب ، فلا شيء فى هذه الحياة يساوى إمتاع النفس ...

— إذن استعد لتأتى معى ... واهتم بإحضار كل أسلحتى بنفسك ، حتى يمكن ...

الحاكى : إنه يقطع كلامه فجأة لأنه لمح دونا إلفيرا مقبلة ... استعدى الآن يا حضرة المقلداتية لتقليد دورها ... أقبلى من بعد ! ... والآن لننظر ما سيكون من أمر هذه المقابلة ...

المقلد : آه ! يالها من مقابلة مزعجة ! ... أيها الخائن سجاناريل ... إنك لم تقل لى إنها قد جاءت إلى هنا بنفسها ...

— إنك لم تطلب منى ذلك يا سيدى ! ...

— هل هى مجنونة حتى تغير ملابسها ، وتأتى هنا فى

مثل هذه الملابس الكئيبة ؟ ! ...

المقلدة : هل تسمح يا دون جوان وتتكرم بالتعرف عليّ ؟ ... وهل أستطيع أن آمل على الأقل أن تتنازل وتنظر إلى ناحيتى ؟ ...

المقلد : أعترف لك يا سيدتى أنى مندهش ، وأنى لم أكن أنتظرك هنا ...

المقلدة : أرى بوضوح أنك لم تكن تنتظرنى هنا ... وأنك مندهش ... ولكن على غير ما كنت أتمنى ... والطريقة التى تظهر بها دهشتك أمامى أقنعتنى تماماً بما رفضت أن أصدق من قبل ... إنى أعجب من سذاجتى وضعف قلبى ، إذ تشككت فى خياناتك التى تؤيدها مظاهر كثيرة ... وأعترف إنى كنت سليمة النية ... أو إن شئت غبية ، حتى قبلت أن أخدع نفسى وأحاول تكذيب عينى وتغيير حكمى عليك ... لقد بحثت عن مبررات لأعتذر بها إلى قلبى عن ذلك الفتور فى المحبة الذى كنت ألمسه عندك ، وكنت أختلق عن قصد

مئات الأعذار التى تبرر رحيلك المفاجىء ، لكى أبرئك من الجريمة التى يتهمك بها عقلى ... إن شكوكى العادلة كانت تساورنى كل يوم ... ولكنى كنت أرفض الإستماع إلى صوتها الذى كان يصورك مجرماً أمام عينى ... وكنت أستمع وأنا مسرورة إلى الآمال الواهية التى تصورك بريئاً أمام قلبى ... ولكن هذه الطريقة التى استقبلتنى بها لم تعد تسمح لى بالشك ... وقد أدركت من نظرتك الخاطفة التى ألقيتها علىّ ، أشياء أكثر مما كنت أود أن أعرف ... ومع ذلك فإنه يسرنى جداً أن أسمع من فمك أسباب رحيلك ... تكلم ... أرجوك يا دون جوان ! ... ولنر كيف ستدافع عن نفسك ؟ ...

المقلد : سيدتى ... ها هو ذا سجاناريل يعرف لماذا رحلت ... تكلم أنت يا سجاناريل !

— آ آ ... أنا يا سيدى ؟ ... أنا لا أعرف شيئاً ... أرجوك ...

المقلدة : حسناً يا سجاناريل ... تـكلم ... لا يهمنى من أى فم أسمع تلك الأسباب ...

المقـلد : تعال إذن ... واقترب يا سجاناريل وقل للسيدة ...

— وماذا تريد منى أن أقول ؟ ...

المقلدة : قل ... ما داموا يطلبون منك ذلك ... قل لى ما هى أسباب ذلك الرحيل المفاجىء ؟ ...

المقـلد : تـكلم ... ألا تجاوب ؟ ...

— ليس عندى أى جواب يا سـيدى ... إنك تهزأ من خادمك ! ...

— تـكلم ... قلت لك ! ...

— سيدتى ...

المقلدة : ماذا ؟ ...

المقـلد : «شخصية سجاناريل يستدير نحو سيده دون جوان» سيدى ...

— « شخصية دون جوان مهدداً » إذا لم ...

— سـيدى ... إن سبب رحيلنـا هم الغزاة ... الاسكندر الأكبر والعوالم الأخرى ... هـذا

يا سيدى هو كل ما أستطيع أن أقوله ...

المقلدة : هل تتفضل يا دون جوان وتفسر لنا هـذه الألغاز الجميلة ؟ ! ...

المقلد : الحقيقة يا سيدتى ...

المقلدة : آه ... لـكم تسىء الدفاع عن نفسك ، كرجل من رجال البلاط كان ينبغى أن يكون متعوداً على مثل هذه الأمور ... إنى أشفق أن أراك فى مثل هذا الارتباك ... لماذا لا تسلح جبهتك بجرأة النبلاء ؟ ... لماذا لا تقسم لى بأنك ما زلت عند شعورك نحوى ، وأنك ما زلت تحبنى بحرارة لا مثيل لها ... وأن شيئاً لا يستطيع أن يفصلك عنى إلا الموت ؟ ... لم لا تقول لى إن هناك أعمالا غاية فى الأهمية أجبرتك على الرحيل دون أن تخطرنى ؟ ... وأنه يجب عليك أن تبقى هنا بعض الوقت رغم إرادتك ، وأنه ليس علىّ إلا أن أعود من حيث أتيت ، وأنا واثقة أنك سوف تلحق بى فى أقرب فرصة ممكنة ، وأنه من

المؤكد أنك تتحرق شوقاً للحاق بى ، وأنك تتألم لبعدك عنى كما يتألم الجسد عندما تفارقه الروح ؟ ... هكذا كان يجب أن تدافع عن نفسك وألا تظل هكذا مذهولا أمامى ...

المقلد : أعترف لك يا سيدتى أنى لا أملك موهبة إخفاء عواطفى ... وأنى أحمل قلباً صادقاً ... لن أقول لك إنى ما زلت عند مشاعرى بالنسبة إليك . . . وإنى أتحرق شوقاً للحاق بك ، حيث أنه من المؤكد أنى لم أسافر إلا هرباً منك ... وليس لتلك الأسباب التى تتصورينها ... ولكن كان ذلك بوازع من ضميرى ، إذ أعتقد أنى لا أستطيع أن أعيش معك بعد ذلك من غير أن أرتكب خطيئة ... لقد بدأت الوساوس تخالجنى ياسيدتى وقد تفتحت روحى على ما كنت أفعل ... وفكرت أنى لكى أتزوجك قد اختطفتك من على سور أحد الأديرة ... وأنك نكثت بالعهد الذى كنت مرتبطة به من جهة أخرى ... وأن السماء غيورة جداً من

مثل هذه الأمور ... حينئذ تملكتنى التوبة وخشيت غضب السماء، ورأيت أن زواجنا لم يكن إلا نوعاً من الزنا المستتر ، وأنه سوف يجر علينا غضب السماء ... بالاختصار كان يجب علىّ أن أنساك وأن أهيء لك الوسيلة لكى تعودى إلى قيودك الأولى ، فهل تريدين يا سيدتى أن تعارضى مثل هذا القرار المقدس ؟ ... وأن تجعلينى، باحتفاظى بك، أعرض نفسى لانتقام السماء ؟ ... وأنه ...

القلادة : أيها النذل الخليع ! ... قد عرفتك الآن تماماً ... ولكنى عرفتك لسوء الحظ بعد فوات الأوان ... ومثل هذه المعرفة لا يمكن إلا أن تضاعف من شقائى ... ولكن اعلم أن جريمتك لن تظل دون عقاب ، وأن نفس السماء التى تهزأ بها سوف تعرف كيف تنتقم من غدرك وخيانتك ...

المقلد : سجاناريل ... السماء ! ...

— «شخصية سجاناريل» آه ... صحيح يا سيدى ، إننا لا نهتم كثيراً بها ... نحن ...

— « شخصية دون جوان » سيدتى ...

المقلدة : كفى ! ... لا أريد أن أسمع أكثر من هذا ... بل إنى ألوم نفسى لأنى سمعت أكثر مما ينبغى ... إنه لمن الجبن أن يتوسع الإنسان فى شرح ما أدى إلى فضيحته ... وفى مثل هذه المواضيع يجب على كل نفس نبيلة ، منذ اللحظة الأولى ، أن تختار طريقها ... لا تنتظر منى أن أنفجر فيك لوماً وشتماً ... لا ... لا ... إنى لن أصرف غضبى فى كلام غير مفيد ... ولكنى سأحتفظ بكل شدته للإنتقام ... إننى أكرر عليك مرة أخرى : سوف تعاقبك السماء أيها الخائن الغادر على ماسببته لى من إهانة ... وإن كنت لا تخشى شيئاً من السماء فاخش على الأقل غضب امرأة مجروحة ... « تبتعد » ...

المقلد : « شخصية سجاناريل لنفسه » آه ... لو ضميره يؤنبه ! ...

— « شخصية دون جوان بعد تفكير قصير » هيا بنا

يا سجاناريل نفكر فى مشروعنا الغرامى ! ...

— آه ... ياله من سيد فظيع أقوم مكرهاً على

خدمته ...

. . . .

بيرجينت

لهنريك إبسن

ترجمة وتقديم : الدكتور على الراعى

الحاكى : أنا الحكاواتى ... «يذكر اسمه الحقيق» أعرض عليكم
اليوم لعبة للمؤلف « إبسن » اسمها « بير جنت » ...
كان يا ماكان فى سالف العصر والأوان شاب قروى
فقير اسمه « بير جنت » يشعر بالمعرة من فقره ، ويعيش
بروحه على الأحلام ... هو كذاب جعجاع كسول ،
ولكن المرء لايملك إلا أن يحبه ، بل ويشغف به ...
فوراء شطحات خياله المضحكة وأكاذيبه التى تثير
الأعصاب ، تكمن مأساة الإنسان وشاعريته معاً ...
اضطراده الذى لا مفر منه إلى العيش فى الواقع
الكالح ، وتمرده الذى لا يهدأ على هذا الواقع ذاته ...
وخلف منظر بير جنت الرث وجبنه البادى وولعه
بالشراب ، تطلع جسور إلى مثل أعلى يبدو مستحيل
التحقيق لمن هو — فى الظاهر — أكثر منه شجاعة ...

وهو يتطلع دون تلبث إلى حياة الروح الرفيعة متمثلة في « سولفيج » ذات البراءة العذرية والجمال الأزلي، ولا يتردد في أن يعرض عليها قلبه وروحه ... هو الفقير الهزأة، هو الخاطىء العاصي، هو المجنون الذي لا صبر له على حياة العقلاء .. وهو في سبيل « سولفيج » يخوض نضالا روحياً طويلا مع « الجن في القلب والفكر » ... كيف حدث هذا كله، سنرى ذلك من خلال لعب المقلداتي ... تقدم أيها المقلداتي وأخبرنا من ستقلد ... واذكر لنا اسمك أولا ...

المقلد : أنا المقلداتي ... « يذكر اسمه الحقيقي » سأقلد بيرجنت والحداد والرجل والشاب والوالد والعريس والملك والفلاح والقبطان والطباخ والقس وصانع الأزرار و...

الحاكي : إلى آخره ... إلى آخره ... وأنت أيها المقلداتية ... قدمي لنا نفسك وعملك ...

المقلدة : أنا المقلداتية « تذكر اسمها الحقيقي » وسأقلد « آس » أم بيرجنت كما سأقلد العجوز الأولى والعجوز الثانية

والفتاة ، وسولفيج والراعية الأولى والراعية الثانية والراعية الثالثة وهيلجا وكارى وأنيترا و ...

الحاكى : يكفى هذا ... فلنبدأ اللعبة ... نحن الآن قرب مزرعة آس أم الشاب بيرجنت ... أنظروا هناك تل تعلوه أشجار الغابات ، وتتساقط منه مياه جدول جبلى ... وفى الجانب الآخر طاحونة عتيقة ... إنه يوم قائظ من أيام الصيف ... ها هو الشاب بيرجنت هبط التل من أحد الممرات ، تتبعه أمه آس وعليها أمارات الغضب ... إنها تبادره بالكلام ...

المقلدة : بير ... أنت تكذب ...

المقلد : ماذا ؟ ... أنا ؟ ... أكذب ؟ ! ...

المقلدة : أقسم إذن إنها الحقيقة ...

المقلد : أقسم ؟ ! ... لماذا أقسم ؟ ...

المقلدة : إخص ! .. أنت مفزوع !... أكاذيب ... أكاذيب ... أكاذيب ... هذا كل ما فى الأمر ...

المقلد : كل ما قلت هو الحق الصريح ...

المقلدة : تقدر أن تنظر فى وجهى دون خجل ؟ ... أولا
ومو سم العمل على وشك المجىء تهرب بالأسابيع سعياً
وراء نزواتك الراقصة فى الجبال ، تسرق غزال الرنة
فى الجليد!... غير أنك تعود وقد مزقت منك الثياب ...
فأين صيدك ؟ ... وأين سلاحك ؟ ... تظن إنك
تستطيع خداعى بقصص للصيد سخيفة مخترعة ؟! ...
قل لى أين رأيت هذا الغزال ؟ ...

المقلد : قرب جيندين ...

المقلدة : « ضحكة هازئة » معقول جداً ؟ ! ...

المقلد : كنت مختبئاً فى دغل ، محتمياً به من ريح مثلجة ... وكان
هو راقداً فى الجليد ، يبحث عن نبت يأكله ...

المقلدة : « نفس الهزء » لا يا شيخ ! ...

المقلد : كتمت أنفاسى ، ووقفت أستمع ، فوصلنى صوت
حوافره تأكل فى الجليد ... ثم رأيت قرونه العظيمة ،
فزحفت ببطء على بطنى متجهاً إلى أمام ، كانت
الأحجار الصغيرة الناعمة تغطينى ... فأخرجت رأسى

من مخبئه ... يا له من غزال ... ناعم لماح مكتنز الشحم لم أكد أصدق عيني ...

المقلدة : لم تكد ! ...

المقلد : بانج ! ... أطلقت عليه رصاصة ... وقع الغزال بكل ثقله بين الأحجار... وفى غمضة عين كنت راكباً على كتفيه ، ممسكا بأذنه اليسرى ... وإذ أنا موشك أن أغمد سكينى فى نحره ... هب الوحش البغيص واقفاً وصرخ ، ثم دفع برأسه فى الهواء وقذف بالسكين من يدى قذفاً ، ثم إذا هو يستل قرونه ويخزنى بها حتى الصلب ، ويمسك برجلى فى قبضة من فولاذ ... ثم انطلق مسرعاً ، كالبرق ، بحذاء حافة جيندين ...

المقلدة : « دون وعى » يا إله السموات ! ...

. . . .

. . . .

الحاكى : وهذا مشهد آخر من لعبة إبسن « بير جنت » : نحن الآن فى القاعة الملكية فى قصر ملك جبال دوفر ...

جمع كبير من رجال بلاط الجان ، من كل عمر وحجم ووصف ... الملك جالس على عرشه وتاجه فوق رأسه وصولجانه فى يده ... وبالقرب منه أولاده وبخاصة أقاربه متحلقين ... وفى مواجهته يقف بير جنث ... وبالقاعة ثورة كبيرة ... رجال البلاط يصيحون : اقتلوه ! ... مسيحى تجاسر فخدع أجمل بنات ملك دوفر ! ... وهنا يصيح جنى شاب ...

المقلد : (جنى شاب) دعونى أقطع أصابعه شرائح ! ...

الحاكى : وجنى شاب آخر ...

المقلد : خلونى أمزق شعر رأسه ! ...

الحاكى : وجنية شابة ...

المقلدة : اسمحوا لى بأن أقطع قطعة كبرى من لحم إليته ! ...

الحاكى : وساحرة تمسك بمغرفة ...

المقلدة : هل نأكله ثريداً أم نضعه فى إناء الحساء ؟ ...

الحاكى : وساحرة أخرى تمسك شاطوراً ...

المقلدة : نلتهمه مشوياً أم محمراً على النار وسيخ ؟ ...

الحاكى : وها هو ذا الملك يشير إلى المستشارين ...

المقلد : اهدأوا ! ... آن الأوان لكى نكف عن تملق أنفسنا ... لقد انحدرت فى الآونة الأخيرة أمورنا ... ولا أحد يعلم هل تعود إلى صعود أم تمضى فتصبح هشيما ... لهذا لانملك أن نرفض العون مهما كان مصدره ... ثم إن الشاب لا عيب يذكر فيه ... وهو ، إن لم أكن مخطئاً ، بادى الفحولة ... صحيح أن له رأساً واحداً فقط ، ولكن ابنتى بها هذا العيب ... إن الجان ذووا الثلاثة الرؤوس أصبحوا « مودة » قديمة ! ... بل إن ذوى الرأسين قد أضحوا نادرين . . . ومن واجبى أن أقول إنهم ليسوا أصحاب منظر جميل ... إذن فأنت يا بير جنت تجرى وراء ابنتى ؟...

— (بير جنت) ابنتك ومملكتك معاً ، كجزء من وطنها ...

— (الملك) سأعطيك نصف المملكة وأنا حى ،

فإذا ما انقطع نفسى نخذ الباقى ...

— (بير جنت) اتفاق عدل ...

— (الملك) اصبر قليلا يا بنى ... علىّ أن آخذ منك بعض المواثيق ... فإذا ما خرجت على أحدها صار اتفاقنا لاغياً ... وإذ ذاك لن تخرج من هنا حياً ... عليك أولا أن تمحو من ذاكرتك العالم خارج الروند ... تجنب النهار وأموره ، ولا تمش مطلقاً فى الشمس ...

— (بير جنت) ما دمت سأصبح ملكا فلن يكون هذا عسيراً ...

— (الملك) ثانياً : الآن نريد أن نتبين ما لا تعرفه من أمور ...

الحاكى : ها هو ذا أكبر رجال البلاط من الجن يقول ...

المقلد : (كبير البلاط) الآن نرى ما إذا كان ضرس العقل عندك يستطيع أن يكسر بندق الألغاز ، ويستخرج منها ثمار الحكمة لدى رجل عجوز ...

الحاكى : وما هو ذا الملك يلقى على بير جنت سؤالا ...

المقلد : (الملك) ما الفرق بين الجنى والإنسان ؟ ...

— (بير جنت) لافرق مطلقاً فيما أرى ... كبير السن بين الجن يريد أن يشوينى ، وصغير السن يود لو يسلخنى .. ونحن البشر نفعل المثل لو جرؤنا ! ...

— (الملك) هذا حق ! ... هناك نقط تشابه كثيرة ... غير أن الصباح هو الصباح والليل هو الليل ، والفرق واضح إذا كان بصرك حديداً ... الآن أقول لك أنا ماالفرق ... هناك حيث البشر يعيشون تحت القبة الزرقاء ، يمضى القول : « أيها الإنسان لنفسك كن مخلصاً ! ... » أما فى التلال فلسنا نأبه بمثل هذه الأقوال المعظمة للذات ... إنما نحن نقول : « أيها الجنى ، كفى بنفسك معيناً » ...

— تبدو لى المسألة غير واضحة ...

— سأفهمك : « كفى بنفسك » عبارة شاملة يا بنى ، وعليك أن تحفرها على شارتك ...

— ولكن ...

— هذا واجبك ، ما دمت ستصبح ملكا هنا ! ...

— ما دام هذا واجباً فهو واجب ... إنه ليس أسوأ ...

— وبعد هذا ، عليك أن توائم ما بينك وبين أسلوبنا البيتى الصريح البسيط فى الحياة ...

الحاكى : يشير الملك فيدخل جنيان لهما رأسا خنزير ، يلبسان قلنسوتين بيضاوين ويحملان طعاماً وشراباً ...

المقلد : (الملك مستأنفاً) أبقارنا تلد فطائر ، وثيراننا تحلب العسل المخمر ... لا تسأل إن كانت الفطائر والعسل حلوة أم مرة ، فالمهم أن الفطائر بيتية والعسل مخمر فى المنازل ...

— (بيرجنت) اذهبوا للشيطان بشرابكم الغريب ! ... لن أعتاد أبداً أحوال بلدكم ...

— إن القصعة جزء من الشراب ، وهى من الذهب ... فمن يأخذ القصعة يأخذ ابنتى أيضاً ...

— (بيرجنت متفكراً) هيه ... يقولون إن علينا أن

نبلع ما نكره ... ولا شك عندى فى أنى سأعتاد
هذا الطعم بمرور الوقت ... الآن أشرب ...

— هذا قول حكيم ! ... لكن ... أتبصق ؟ ...

— كان هذا مجرد ... حكم العادة ...

— بعد هذا ... عليك أن تخلع ملابسك المسيحية ...
فى هذا البلد يشرفنى أن أقول إن كل شىء هو من صنع
الجبال ... لا شىء يأتينا من الوادى إلا الذيول ...

— « فى غضب » أنا لا ذيل لى ...

— إذن أعطيك ذيلا ... أيها الحاجب ، ألصق به
أنخر ذيولى ! ...

— إياك أن تجسر ! ... أنتم تسخرون منى ! ...

— لن تستجيب لك ابنتى وعجزك عاطل من الذيل ! ...

— أتريدون أن تحيلوا البشر وحوشاً ! ...

— يا ولدى ، أنت مخطىء ! ... إنما أنا أحيلك فارساً
غندوراً ... سنعطيك ذيلا أصفر فى لون اللهب ...
وهذا تشريف ما بعده تشريف ...

— هيه — يقولون إننا ريش فى مهب الريح ، وأن العادة والطريقة تحملاننا حملا ... ليكن إذن ، امضوا قدماً ! ...

— أنت شاب حكيم ...

الحاكى : وركب له الذيل ... وقال له رجل البلاط ...

المقلد : (رجل البلاط) أنظر كيف تحرك ذيلك فى خيلاء !...

— (بير جنت مغيظاً) أهناك شىء آخر يجب أن آتيه ؟ ... هل أنزل عن عقيدتى المسيحية أيضاً ؟...

— (الملك) بل تمسك بها إذا كان هذا يسرك ... حرية المعتقد هنا مكفولة ... لا ضرائب عليها ... إنما يميز الجنى طريقة تفصيل ثيابه ... إذا ما اتفقنا على العادات والملابس فأنت حر فى أن تؤمن بما تشاء ، ولو كان جديراً أن ينزل فى قلوبنا الفزع ..

— بالرغم من الشروط التى تفرضونها ، فأنتم أكثر اعتدالا مما قدرت ...

. . . .

بستان الكرز

لأنطون تشيخوف

ترجمة الدكتور : سهيل إدريس

الحاكى : أنا الحكاواتى ... «يذكر اسمه الحقيق» أعرض عليكم لعبة للمؤلف تشيخوف اسمها «بستان الكرز» ... كان يا ما كان فى روسيا القديمة أسرة أرستقراطية ، ولكنها أخذت تميل نحو الفقر ... كان لها بستان كرز من بقايا عزها الماضى حاولت أن تتشبث به ... كان هذا هو موقف الأم فى هذه الأسرة ، وتجاه هذه الأم التى تعيش فى هذا الماضى ، نهضت الإبنة والطالب اللذان ينشدان الحياة الجديدة ويطلبان التحرر من ربقة الماضى الميت ... نحن إذن أمام لعبة تدعو إلى تجديد الحياة ونفض غبار الماضى ... وسيعرض علينا المقلداتى والمقلداتية الآن ماتحويه هذه اللعبة من شخصيات ... تفضل أيها المقلد .. وعرفنا بنفسك وعملك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... «يذكر اسمه الحقيق» سأقلد غاييف ولوباخين وتروفيموف وبيشتشيك وأبيخودوف وفيرس وغيرهم ...

الحاكى : وأنت يا ست ... تفضلى ! ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... «تذكر اسمها الحقيقى» سأقلد رانيافسكى وابنتها آنيا وفاريا ابنتها بالتبنى ودونياشا وشارلوت...

الحاكى : والآن فلنبدأ اللعبة ... نحن فى غرفة ... لا تزال تدعى فى هذه الأسرة « غرفة الأولاد » ونحن الآن عند الفجر ... وعما قليل تشرق الشمس ... مطلع نوار : شجرات الكرز مزدهرة فى البستان ، ولكن لايزال الجو بارداً ... طبقة خفيفة من الجليد الأبيض تغطى الأرض فى الخارج ... أما غرفتنا هذه فمغلقة النوافذ ... فى هذه اللحظة تدخل دونياشا الفراشة ومعها شمعدان ... وخلفها لوباخين يحمل كتاباً ... ويحادثها ... اشرعا الآن فى العمل ...

المقلد : لقد وصل القطار أخيراً ! ... كم هى الساعة الآن ؟ ...

المقـلدة : حوالى الثانية ...

الحاكى : اطفئ الشمعة الآن ... لأن ضوء الصبح ظهر ...

المقـلدة : لقد طلع النهار ...

المقـلد : كم تأخر القطار ؟ ... ساعتين على الأقل ... « يتثاءب ويتمطى » أى أبله أنا ! ... لقد أتيت خصيصاً إلى هنا حتى أذهب فأنتظرهم على المحطة ، فإذا الوقت يفوتنى وأنا نائم على كرسىّ ! ... إن هذه مصيبة ! لقد كان عليك أن توقظينى ! ...

المقلدة : حسبتك قد ذهبت ... « ترهف السمع » آه ! ... ها هم قد وصلوا ، على ما أعتقد ...

المقـلد : « مصغياً هو أيضاً » كلا ... فعليهم أن يأخذوا الأمتعة .. وعليهم هذا وذاك ... لقد أمضت ليو بوف أندريفنا خمسة أعوام فى الخارج ، فكيف تراها أصبحت الآن ؟ ... إنها امرأة ممتازة ، بسيطة مرحة ... أذكر أنى حين كنت غراً فى الخامسة عشرة ، كال لى أبى ، الذى كان يدير حانوتاً فى القرية ، ضربة على وجهى

سال لها الدم من أنفى ... وكنا قد قدمنا إلى هذا البيت لسبب لا أذكره ، وكان أبى ثملا بعض الشيء ، فإذا بليوبوف أندرييفنا ، وكانت لا تزال صبية رقيقة العود ، تقودنى إلى هذه المغسلة ... فى غرفة الأولاد هذه وتقول لى : لا تبك يا موجيكى الصغير ...

الحاكى : موجيك تعنى الفلاح الصغير ...

المقلد : « مستأنفاً » لا تبك يا موجيكى الصغير ... فلن يظهر أى أثر لذلك قبل زواجك ... ياموجيكى الصغير !... صحيح إن أبى كان فلاحاً ، وكنت أنا أرتدى صدارة بيضاء وحذاء أصفر ! ... وأشبه خرطوم خنزير يطال الحلوى متى شاء ... كنت حديث نعمة ، وكان المال بين أيدينا وفيراً ! ... ولكنى بعد كل حساب لم أكن إلا فلاحا ... «يقلب الكتاب» لقد قرأت هذا الكتاب فلم أفهم منه كلمة ... وكان أن نمت ...

المقلدة : إن الكلاب لم تنم هذه الليلة ... فقد كانت تشعر بأن أسيادها عائدون ...

المقلد : ماذا دهاك يا دونياشا ؟ ...

المقلد : إن كفىَّ ترتعشان وإخالنى ستسوء حالتى ...

المقلد : إنك ناعمة سريعة التأثر يا دونياشا !... ومع ذلك فأنت ترتدين ثياب الأوانس ... إن هذا لا يصح ، وينبغى للمرء أن يذكر ما هو ! ...

الحاكى : هنا يدخل أبيخودوف حاملا باقة ... إنه يرتدى ثوباً أنيقاً وحذائين ملمعين جداً يحدثان زقزقة كلما سار خطوة ... وتسقط الباقة من يده فيلمها ويناولها دونياشا ...

المقلد : (أبيخودوف) إن البستانى يرسل هذه الزهور لتوضع فى غرفة الطعام ...

— (لوباخين لدونياشا) إيتينى بقدح من الكفاس !...

المقلدة : سمعاً يا سيدى ...

المقلد : (أبيخودوف) الحرارة ثلاث درجات ، جليد أبيض وشجرات الكرز مزدهرة ! ... إننى لا أستطيع أن أوافق على طقسنا ... « يتنهد » فهو غير قادر على أن يعطى شيئاً مناسباً ... وأنا أضيف إلى ذلك يا لوباخين

أنى اشتريت أمس الأول زوجاً من الأحذية أجرؤ على أن أؤكد لك أنه يصيح بشدة ، متجاوزاً كل إذن له بالصياح ... فبأى شىء يمكن لنا أن نشحمه ؟ ...

— (لوباخين) دعنى ! ... فأنت تضايقنى وتضجرنى ...

— (أبيخودوف) ليس هناك يوم لا تحصل فيه مصيبة ، ومع ذلك فأنا لا أشتكى ، بل قد تعودت ذلك ... ولذلك ترانى أبتسم ...

المقلدة : « دونياشا تأتى بالشراب وتقدم القدح للوباخين ... »

المقلد : (ابيخودوف) إنى ذاهب ... «يصطدم قدمه ويقع على الأرض » انظر ! ... إنك لترى يا لوباخين ! ... عفواً للعبارة ! ... فأية مصيبة هذه بين المصائب ... إن هذا ليدعو للتأمل حقاً ... « يخرج » ...

المقلدة : وأنا ينبغى لى أن أعترف لك يا لوباخين ... لقد طلبنى أبيخودوف للزواج ...

المقلد : هكذا إذن ! ...

المقلدة : إننى فى حيرة ... إنه رجل لطيف ، ولكنه حين

يتحدث إليك لا تفهم منه شيئاً ، على الغالب ... إن ما يقوله طيب ومؤثر ، ولكن لا يفهم منه شيء .. وأنا أظن أنه يروق لى ... وهو يحبنى حتى الجنون ، ولكنه رجل كثير المصائب : فكل يوم يحدث له شيء ... ولهذا سموه « إثنتان وعشرون مصيبة » ! ...

المقلد : « مصغياً » أظن أنهم قد وصلوا ...

المقلدة : إنهم هم ... ماذا دهانى ؟ ! أشعر أنى مقرورة ...

المقلد : أجل إنهم هم ... هيا إلى لقائهم !.. أتراها ستعرفنى ؟... لقد مضت خمسة أعوام لم ير فيها أحدنا الآخر ...

المقلدة : « منفعلة » إن قواى تخور !... آه ... يكاد يغمى علىّ !...

الحاكى : يسمع صوت سيارتين ... لوباخين ودوناشا يخرجان بسرعة ... ثم ها هى أصوات فى الغرف المجاورة ... وها هو ذا فيرس الفراش العجوز عاد من المحطة حيث اصطحب السيدة رانيافسكى ، إنه يتوكأ على عصا ... إنه يرتدى ثوباً رسمياً قديماً وقبعة عالية ... وها هى ذى السيدة رانيافسكى وآنيا وشارلوت ،

تقود كلباً صغيراً مربوطاً بحبل . ثلاثتهن فى ثياب السفر ... أما فاريا فترتدى معطفاً وعلى رأسها منـــديل . . . ويظهر أيضا غاييف وبيشتشيك ولوباخين ، ودونياشا التى تحمل حزمة كبيرة ملفوفة بقطعة نسيج ومظلة ... وبعض الخدم ينقلون المتاع ... ثم ها هى ذى آنيا تخاطب أمها ...

المقـلدة : (آنيا) ماما ... هل تذكرين ما كانت هذه الغرفة ؟ ...

— (رانيافسكى) إنها غرفة الأولاد ...

— ما أشد البرد ! ... إن أصابعى مجلدة ، إن غرفتيك البيضاء والبنفسجية لم تمسا يا أمى ...

— غرفة الأولاد ! ... كم أنا أحبها ! ... وكم هى جميلة ! ... لقد كنت أنام فيها وأنا صغيرة ... « دمعة » وأنا اليوم مازلت كما لو أننى صغيرة ! ...

المقـلد : (غاييف) لقد تأخر القطار ساعتين ! ... فأى نظام ! ...

المقلدة : (شارلوت) إن كلبى يأكل كل شىء حتى البندق ! ...

المقـلد : (بيشتشيك) البندق ؟ ! ... صحيح ؟ ! ...

الحاكى : يخرج الجميع الآن ... ولا يبقى غير دونياشا وآنيا ...
المقلدة : (دونياشا) كم كنا ننتظركم ! ...

— (آنيا) هذه الليلة الرابعة التى لا أنام فيها ...
إنى مقرورة حتى العظام ! ...
— (دونياشا) فى أثناء الصوم الكبير حين ذهبت ،
كان الثلج يتساقط ، لا كما هو الحال الآن ...
آه أيتها الآنسة الحبيبة ... لكم تأخرت علىّ
رؤيتك ... يا فرحتى ... يا نورى ... ياقلبى ! ...
يجب أن أخبرك من غير أن أضيع لحظة ...
— (آنيا) « متعبة » أهناك حكاية أخرى
يا دونياشا ؟ ...
— لقد طلبنى أبيخودوف المحاسب للزواج بعد
الفصح ...
— إنك تحلمين دائماً الحلم نفسه ... « تنسق شعرها ».
لقد فقدت جميع دبابيسى ... « تبدو متعبة جداً حتى
إنها لتترنح » ...

— أنا حائرة جداً ... فهو يحبنى ... إلى أقصى حد ...

— (آنيا) « تنظر فى اتجاه غرفتها بحنان » غرفتى ... نوافذى ... لكأنى لم أذهب ... إننى فى منزلى ... سأعدو فى البستان » ... آه ... ليتنى أستطيع النوم ! ... إننى لم أنم لحظة طوال الطريق ، لفرط قلق ...

أمس الأول وصل باتيا إلى هنا ...

— (آنيا) « فرحة » باتيا ؟ ...

— ولقد ترك فى جناح الحمام ... وهو الآن نائم ... فقد خشى أن يزعجكم ... ينبغى إيقاظه ... ولكن فاريا قد منعتنى من ذلك ...

الحاكى : ها هى ذى فاريا تأتى ورزمة مفاتيحها معلقة بنطاقها ...

المقلدة : (فاريا) أعدى لنا القهوة يا دونياشا ، بسرعة ! ... إن أمى تطلب قهوة ...

— (دونياشا) على الفور ... حالا ... « تخرج » ...

الحاكى : والآن فاريا تلتفت إلى آنيا وتحادثها وتلاطفها ...

المقلدة : وأخيراً ، ها أنتم قد وصلتم ... فشكراً يا إلهى ! ...
لقد رجعت ... لقد عادت حبيبتى ، جميلتى ! ...

— ما أشد ما عانيت يا فاريا ! ...

— إنى أتصور ذلك .

— حين ذهبت ، ذلك الأسبوع الذى سبق الفصح ، كان البرد شديداً ، ولم تنقطع شارلوت عن الكلام لحظة طوال الطريق ، ولا عن القيام بأدوار الشعوذة . . . لماذا تراك يا فاريا قد أربكتنى بشارلوت هذه ؟ ...

— ما كان لك ، وأنت فى السابعة عشرة ، أن تسافرى وحدك إلى الخارج ...

— ووصلنا إلى باريس ، فكان البرد فيها قاسياً ، وكان الثلج يتساقط ، وقد أخذت أتكلم الفرنسية بقسوة ... وكانت الماما تسكن الطابق الخامس... ولقد وجدت عندها فرنسيين وسيدات وكاهنا مسناً يحمل كتاباً ... وكان دخان التبغ منتشراً فى

كل مكان ... ولم يكن ثمة أية وسيلة من وسائل الراحة ... ولقد أشفقت فجأة على الماما ، فأخذت رأسها بين يدى ، ولم أستطع أن أتركه بعد ذلك . .

ثم ضمتنى الماما وبكت ...

— «والدموع فى عينيها» أسكتى ، ولا تحكى بعد ! ...

— كانت الماما قد باعت مقصورة مانتون ... ولم يبق لديها شىء ... وأنا أيضاً لم يبق لى فلس واحد ... لم يكن معنا أكثر من أجرة الطريق ، ومع ذلك فإن الماما لا تدرك من ذلك شيئاً ! ... وفى أثناء السفر كنا نتناول الطعام فى البوفيهات ، وكانت تطلب أثمن ما كان موجوداً وتعطى الخدم هبات من الروبلات ، وكذلك كانت تفعل شارلوت ، وأما إياشا ، خادم الماما ، وقد صحبناه معنا ، فقد كان يطلب لنفسه عشاء كاملا ... إن هذا لفظيع ...

— لقد رأيته ، ذلك الطويل الأبله ...

وهنا ، ما الذى حدث يا فاريا ؟ ... هل دفعت الفوائد ؟ ...

— وبم تريدين أن تدفع ؟ ...

— يا إلهى ! ... يا إلهى ! ...

— سيباع بستان الكرز فى شهر آب ...

— يا إلهى ! ...

الحاكى : يشق لوباخين الباب ، فيراهما ويقول « همهم » ثم يذهب ...

المقلدة : (فاريا) «تمد قبضتها نحو لوباخين» هذا ما أودأن أكيله لهذا الشخص ! ...

— هل طلبك للزواج يا فاريا ؟ ...

« فاريا تهز رأسها » ...

— إنه إذن يحبك ... فلماذا لا تتصارحان ؟ ... ما الذى تنتظرين ! ...

— أحسب أن ذلك لن يتم ... فهو مشغول جداً عنى ... وهو لا يفكر بى ... ليبارکه الله ! ... إنه

ليشق علىّ أن أراه ... فجميع الناس يتحدثون
عن زواجنا ، وجميع الناس يهنئونني ، وليس
هناك في الحقيقة أي شيء ... إن هذا كالحلم ...
« مغيرة لهجتها » آه !... أي دبوس جميل هذا !...
هل هو نحلة ؟! ...

— « بكآبة » لقد اشترتها لي الماما ... « بفرح طفولي »
— فاريا ، لقد ركبت المنطاد في باريس ! ...
— لقد عادت جميلتي وحبيبتي آنيا ...

. . . .

. . . .

ست شخصيات

تبحث عن مؤلف

للويجي بيراندللو

ترجمة : محمد اسماعيل محمد

مراجعة وتقديم : حسن محمود

الحاكى : أنا الحكاوانى ... «يذكر اسمه الحقيقى» أعرض عليكم الليلة لعبة للمؤلف بيراندللو ... اسمها « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » ... كان ياما كان... كان ماذا ؟... فى الواقع لا توجـد هنا حكاية يمكن حكايتها ... فالمؤلف كانت فى رأسه أصلا قصة عن أب يجد ابنة زوجته فى دار للدعارة ، وهى تأبى الخضوع لغرائز الرجل الذى يرفض الشيخوخة ، وكان لدى المؤلف كل العناصر التى تقوم عليها القصة ... ولكن القصة لا تسير ، وعجز عن كتابتها ، وظلت تدور فى ذهنه بضع سنوات تراوده ... ولكنه لم يحقق فكرتها ... وعلى ذلك رأى أن يقص قصة المؤلف الذى لم يستطع تحقيق شخصياته على الورق فيطلقها إلى حيث تستطيع العيش ... وأين تعيش إذن ؟ ...

فى المسرح ، أمام خشبة المسرح وأضوائه ؟ ... ومن تقصد هذه الشخصيات ؟ ... مدير المسرح بالطبيعة ، حيث أن المؤلف لم يعد راغباً فيها ، فله مشاغله وأرزاؤه . وهى الآن تريد أن تعيش ... هذه هى قصة هذه اللعبة التى نعرضها عليكم ... إنها قصة تمثيل التمثيل ... وسنرى كيف يقوم المقلداتى وزميلته المقلداتية بهذه اللعبة الصعبة ... تفضـــل يا حضرة المقلداتى وقل لنا ما اسمك وعملك ؟ ...

المقلد : أنا المقلداتى «يذكر اسمه الحقيقى» وسأقلد الأب والابن ومدير المسرح والممثلون ومدير المناظر والملقن والميكانيكى وسكرتير المدير وبواب المسرح و ...

الحاكى : و ... و ... مفهوم ... مفهوم ... وانت يا ست ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... «تذكر اسمها الحقيقى» سأقلد الأم وابنة الزوجة ومدام باتشى والممثلة الأولى والثانية و ...

الحاكى : وبس كفاية ... نبدأ الآن ... نحن فى هذه اللعبة على خشبة مسرح يكون فيه الستار مرفوعاً دائماً

أمام المتفرجين عند دخولهم وانصرافهم ... وليس
هناك كذلك مناظر أو ديكورات وقد أزيح صندوق
الملقن ووضع على جنب ... كل ذلك لإشعار
المتفرجين من البداية أنهم يشاهدون مسرحية لم يتم
إعدادها بعد ... وفى مقدمة خشبة المسرح منضدة
صغيرة ومقعد ذو مسند ، أدير كتفه ناحية
النظارة : إنه المقعد الخاص بالمدير ... ومنضدتان
أخريان ، إحداهما أكبر من الثانية ، مع كراسى
حولها صفت كلها فى مقدمة المسرح حتى تكون
فى متناول اليد عند الحاجة إليها أثناء إجراء التجربة
أى البروفة ... وعندما تطفأ أنوار القاعة يدخل
الميكانيكى يرتدى ثياباً زرقاء حاملا أدواته فى حقيبة
معلقة فى خصره ويلتقط بعض ألواح الديكور من
أحد أركان المسرح ويتقدم بها إلى الجزء الأمامى
ويركع على ركبتيه ثم يبدأ دق الألواح بعضها
ببعض ... وعند سماع صوت الدق يهرول مدير

المناظر مندفعاً ... والآن تقـــدم أيهـا المقلداتى.
مندفعاً ... كما دخل مدير المناظر على الميكانيكى ...

المقـلد : (مدير المناظر) أوه ! ... ماذا تفعل ؟ ...
— الميكانيكى) ماذا أفعل ؟ ... أدق ...
— (مدير المناظر) « ينظر فى ساعته » فى هـــذا
الوقت ؟ لقد بلغت الساعة العاشرة والنصف ..
الآن سيصل المدير بعد لحظات لإجراء التجربة ...
— يجب يا سيدى أن يتاح لى الوقت لأؤدى عملى ...
— وهو كذلك ، ولكن ليس الآن ...
— متى إذن ؟ ...
— بعد أن تنتهى التجربة ... هيا ... هيا ... ارفع
كل شىء من هنا ، ودعنى أهيىء المكان لمسرحية
« لعبة الأدوار » ...

الحاكى : ويجمع الميكانيكى أدواته وقطعه الخشبية وهو يتمتم
ويزمجر ويغادر المسرح ... وفى هذه الأثناء يدخل
ممثلو الفرقة من رجال وسيدات عن طريق الباب

الخلق ... يدخل أحدهم أولا ثم يدخل آخر ، ويتبعه اثنان آخران بالطريقة التى تحلو لهم جميعاً : مجموع الممثلين تسعة أو عشرة وهو العدد اللازم لتمثيل مسرحية بيراندللو « لعبة الأدوار » التى حدد لها ذلك اليوم ... وأثناء دخولهم المسرح يحيي كل منهم الآخر ويحيون مدير المناظر بقولهم « صباح الخير » يقولها كل منهم مبتسما بابتهاج ... ويذهب بعضهم إلى حجرات ملابسهم ، والآخرون وبينهم الملقن الذى يحمل نسخة المسرحية تحت إبطه ، يبقون على المسرح فى انتظار حضور المدير لبـــدء التجربة ... والبعض جالس والبعض الآخر يقف فى مجموعات صغيرة يتبادلون الأحاديث فيما بينهم ... وبعضهم يشعل سيجارة والبعض يشكو من الدور الذى أســند إليه ، والبعض يقرأ على زملائه فقرة من جريدة مسرحية ... وغير ذلك من صور ذلك الجو الذى يسود خشبة المسرح قبيل بدء البروفات . . . إلى أن يأتى المدير . . . وقد أتى

بالفعل ... فقد تنبه إلى اقترابه مدير المناظر فصفق
بيديه ليلفت أنظار الجميع إلى مراعاة النظام ...

المقلد : «مدير المناظر مصفقاً بيديه» هيا بنا... هيا بنا ... كفاكم هذا ... لقد جاء السيد المدير ...

الحاكى : وعندئذ يتوقف كل شيء ويسود صمت، ويلتفت الممثلون ... ويرون المدير داخلا من باب الصالة ، المدير داخلا من باب الصالة ، ويسير فى الممر بين مقاعد النظارة وعلى رأسه قبعة ثقيلة ويحمل عصا صغيرة تحت ذراعه ... وهو يضع سيجاراً ضخما بين شفتيه... ويحييه الممثلون... ثم يصعد إحدى درجات السلم المؤدى إلى خشبة المسرح ... ويتقدم إليه السكرتير بالبريد ومسرحية مغلفة ...

المقلد : (المدير) رسائل ؟...

— (السكرتير) هذا هو كل البريد الذى وصل يا سيدى المدير ...

— « يرد إليه البريد بإشارة » ضعها فى مكتبي ...

« يلتفت إلى مدير المناظر » أوه ... لا أكاد أرى...
قليل من الضوء إذا سمحت ...

ـــ (مدير المناظر) فى الحال ...

ـــ (المدير مصفقاً بيديه) هيا بنا ، لنبدأ الآن ...
هل من غائب ؟ ...

ـــ (مدير المناظر) الممثلة الأولى ...

ـــ (المدير) كالعادة... « ينظر فى ساعته » لقد تأخرنا
عشر دقائق إلى الآن . . . أرجو احتساب هذا
التأخير حتى تتعلم المحافظة على مواعيد التجربة ...

الحاكى : وفى هذه اللحظة يسمع صوت الممثلة الأولى داخلة
من نهاية الصالة ، ترتدى ملابس بيضاء وقبعة كبيرة
مثيرة وتحمل بين يديها كلبا صغيراً ...

المقلدة : (الممثلة الأولى) لا ، لا ، أرجوك ... أنا هنا ...
لقد وصلت ...

المقلد : (المدير) هكذا تصرين على أن ننتظرك دائماً ! ...

المقلدة : عذراً ... طال بحثى عن سيارة أصل بها إلى هنا فى

الوقت المناسب ... ولكنكم لم تبدأوا على أية حال ، ودورى فى المسرحية يأتى متأخراً ... « تشير إلى مدير المناظر وتسلمه كلبها الصغيرة » احبسه فى غرفة ملابسى إذا سمحت ...

المقلد : « المدير مزمجراً » الكلاب !... لسنا فى حاجة إلى المزيد من الكلاب !... « يصفق بيديه إلى الممثلين والملقن » هيا ... هيا ... الفصل الثانى من مسرحية « لعبة الأدوار » ... الآن أيها السادة من عليه الدور ؟... « للممثلة الأولى » آه !... أنت إذن مشتركة فى هذا المشهد ؟ ...

المقلدة : أنا ؟ ... لا يا سيدى ...

المقلد : قومى ابعدى عن هذا المكان إذن ... والآن ابدأ أيها الملقن !...

— (الملقن) « يقرأ من نسخة المسرحية » « منزل ليونى جالا ... حجرة غريبة ... نصفها حجرة مائدة والنصف الآخر حجرة مكتب » ...

— (المدير) سنستخدم القاعة الحمراء ...

— (الملقن) « مستمراً فى القراءة » منضـــدة معدة للطعام ، ومكتب عليه كتب وأوراق ، ورفوف كتب كثيرة ... واجهات بها تحف ثمينه ... باب خلفى يؤدى إلى المطبخ ... المدخل الرئيسى إلى اليمين ...

— (المدير) حسن ... والآن انتبهوا جيداً ... هنا ... المدخل الرئيسى وهنا ... المطبخ ... « يلتفت إلى الممثل الأول » أنت الذى ستمثل دور سقراط ... ستدخل وتخرج من هذا الجانب ... وأنت يا مدير المناظر نريد بارفان فى المؤخرة وبعض الستائر ...

— (مدير المنـاظر يدون مذكرة) وهو كذلك يا سيدى المدير ...

— (المدير) والآن استمر أيها الملقن ...

— (الملقن مستمراً فى القراءة) ... المنظر الأول ، ليونى جالا ، جويدو فينانزى ، فيليبو المسمى ســـقراط ... (إلى المدير) هل يجب أن أقرأ

التوجيهات أيضاً يا سيدى المدير ؟ ...

— (المدير) نعم ... نعم ... قلت ذلك من قبل مائة مرة ! ...

— (الملقن يقرأ) عندما ترفع الستار ، يظهر ليوتى جالا مرتدياً قبعة طباخ ومئزراً يخفق بيضة فى وعاء بملعقة خشبية ... فيليبو كذلك يرتدى ملابس طباخ يخفق بيضة أخرى ...

— (المدير ملتفتاً إلى الممثل الأول) ماذا بك يا ممثلنا الأول ؟ ... هل تريد أن تقول شيئاً ؟ ...

— (الممثل الأول) معذرة ! ... ولكن هل يجب أن أضع على رأسى قبعة الطباخ هذه ؟ ...

— (المدير) قطعاً ! ... هذا ما كتب هنا ... فى نسخة المسرحية ! ...

— (الممثل الأول) معـــذرة ! ... إنه شىء يدعو للسخرية ! ...

— (المدير) يدعو للسخرية ! ... ماذا تتوقع منى أن

أفعل ؟ ... لم يعد يرد إلينا من فرنسا مسرحيات
أفضل من هـذه ... فلم يبق أمامنا إلا عرض
مسرحيات بيراندللو التي لا يفهمها إلا الأذكياء ،
كأنما مسرحياته موضوعة قصداً لكيلا يرضى عنها
الممثلون ولا النقاد ولا الجمهور ... نعم يا سيدى ...
قبعة طباخ تلبسها ! ... وتخفق البيض ! ... وهل
تعتقد أن المسألة تقتصر على أن تشغل نفسك
بخفق هذا البيض ... ولا يبقى فى يدك شىء ؟ ...
كن حصيفاً !... يجب أن تمثل أيضاً قشرة البيضة
التى تخفقها . . . (الممثلون يضحكون) تضحكون
جميعاً ؟! ... أرجوكم الهدوء . . . واستمعوا إلىّ
عندما أشرح ... (إلى الممثل الأول) نعم
ياسيدى ... قشرة البيضة ... تعنى الصورة الفارغة
للعقل دون امتلائها بالمخ ، وهو الغريزة ، فهى
حينئذ عمياء ... فأنت العقل ، وزوجتك الغريزة ...
وفى لعبة الأدوار تقوم بدورك المسند إليك ،

وفى الوقت ذاته تكون دمية نفسك ... هل فهمت ذلك ؟ ...

— (الممثل الأول فاتحاً ذراعيه) أنا ؟ ... لا ...

— (المدير) ولا أنا ! ... على كل حال لنستمر ، وبعد ذلك يمكنكم أن تعربوا لى عن إعجابكم فى النهاية ... « فى لهجة الناصح للممثل الأول » أقترح أن تستدير للجمهور بحوالى ثلاثة أرباع وجهك ... وإلا فمع غموض الحوار ، وعدم قدرتك على إسماع صوتك للجمهور ، ضاع كل شىء ... « يصفق للممثلين » هيا ... هيا ... دعونا نبدأ ... استمر يا حضرة الملقن ...

— (الملقن) معذرة يا سيدى ... أتسمح لى بأن أعيد الصندوق إلى مكانه ، فإنى أشعر بتيار هواء ...

— (المدير) أى نعم ! ... لا مانع ... أعده ...

الحاكى : عندئذ يدخل بواب المسرح وقد وضع قبعة على رأسه ، وبعد أن يعبر القاعة يعلن إلى المدير وصول ست شخصيات ، ويتقدم هؤلاء الأشخاص فى القاعة ، وهم ينظرون حولهم وتبدو عليهم الحيرة والإرتباك ...

لمقلد : (البواب) معذرة يا سيدى المدير ...

— (المدير) ماذا أيضاً ؟ ...

— (البواب) بعض الناس يسألون عنك ياسيدى ...

— (المدير) ولكننا فى التجربة الآن ! ... وأنت تعلم جيداً أنه غير مسموح لأحد بدخول المسرح أثناء تجربة المسرحية ... «يوجه كلامه بعيداً» من أنتم أيها السادة وماذا تريدون ؟ ...

— (الأب وهو أحد الأشخاص الستة) نحن ياسيدى ... نحن نبحث عن مؤلف ! ...

— (المدير بين الدهشة والغضب) تبحثون عن مؤلف ؟ ! ... من هذا المؤلف ؟ ...

— (الأب) أى مؤلف يا سيدى ؟ ! ...

— (المدير) ولكن لا يوجد مؤلفون هنا ، لأننا لا نجرى تجربة على أيه مسرحية جديدة ...

المقلدة : (ابنة الزوجة) هذا أفضل ! ... هذا أفضل ! ... يمكننا أن نكون نحن مسرحيتك الجديدة ...

. . . .
. . . .

هبط الملاك فى بابل

لفريدريتش دورنمات

ترجمة وتقديم : أنيس منصور

الحاكى : أنا الحكاواتى ... «يذكر اسمه الحقيق» أعرض عليكم
لعبة للمؤلف دورنمات اسمها : « هبط الملاك فى بابل »
كان يا ما كان فى مدينة اسمها بابل ملك . . . قرر هذا
الملك أن يقضى على التسول فى مملكته ... فاستجاب له
كل الشحاذين إلا شحاذاً واحداً رفض أن يطيع
أمر الملك ... وأصر على أن يبقى شحاذاً ... ورأى
الملك أن يذهب بنفسه إلى هذا الشحاذ ؛ ليقوم
بإقناعه ... فارتدى ملابس شحاذ وذهب إليه ...
لكنه لم ينجح فى إقناعه ... وخطر للملك أن يدخل
مع الشحاذ فى مباراة : أيهما أقدر على الشحاذة ...
وهنا هبط من السماء ملاك من الملائكة ومعه فتاة ،
لتكون هدية إلى أفقر إنسان على الأرض ... ووجد
الملاك والفتاة أمامهما اثنين من الشحاذين يتباريان ...

أعجزهما عن الكسب معناه أنه الأفقر ... أى المستحق للفتاة ... وكان هو بالطبع الملك ... لأنه لا يمكن أن يتفوق على المحترف الحقيقى للشحاذة ... ما الذى حصل بعد ذلك ؟ ... هذا ما سنعرفه من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية ... تفضل أيها المقلداتى أولا ، وقل للحضور الكرام من ستقلد ؟ ... وابدأ بتقديم نفسك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... «يذكر اسمه الحقيقى» سأقلد الملك والشحاذ والملاك ونمرود ملك بابل السابق ورئيس الوزراء وكبير الكهنة وقائد الجيوش ورجل البوليس والمليونير وتاجر النبيذ وتاجر لبن الحمير وأحد الطهاة وجندى أول وجندى ثان وجندى ثالث وعدد من الشعراء وجماهير و ...

الحاكى : كفايه ... كفايه ... وانت يا ست ؟ ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... «تذكر اسمها الحقيقى» سأقلد الفتاة ... واسمها فى اللعبة كوروبى ... وأقلد غانية اسمها طمطم ...

و أقلد زوجة العامل الأول ... وزوجة العامل الثانى ...

الحاكى : عظيم ... عظيم ... فلنبدأ اللعبة إذن ... مكان اللعبة هو هذا الميدان ... نعم نحن الآن فى ميدان ... فوقنا قبة السماء تبدو واضحة ... وفى هذه السماء تبدو النجوم متألقة كما تبدو من مرصد كبير . . . ومن هذه السماء يهبط الملاك ... وإلى جواره الفتاة ... وقد هبطا بالفعل ولله الحمد ... اشرع الآن فى العمل أيها المقلداتى ... وقلد لنا الملاك وهو يخاطب الفتاة ... ولاحظ أنك فى ثياب شحاذ أنت أيضاً ...

المقلد : « يقلد الملاك مخاطباً الفتاة » مادمت أنت يا ابنتى قد خلقك الله فى أحسن حال ، منذ لحظات مضت ، يجب أن تعرفى أننى أيضاً الذى أرتدى ملابس شحاذ ... أنا الملاك ... وأظن — إذا لم أكن قد أخطأت — أن هذه المادة الخشنة التى نزلنا عليها هى الأرض ... وأن هذه البيوت البيضاء هى مدينة بابل ...

المقلدة : نعم أيها الملاك ...

المقلد : وهذا الشيء المنحني فوقنا ، إذا ما رفعت عينيك قليلا ، هو القمر ... وهذه السحابة الكبيرة التي وراءنا هي الطريق اللبني ... وأنت تعرفينها ... نحن قادمان منها حالا ... بالضبط ... هاهي الخريطة ... « ينظر في كفه ويلعب بأصابع اليد الأخرى فيها كما لو كان في خريطة » كل شيء مرسوم على الخريطة ...

المقلدة : نعم أيها الملاك ...

المقلد : وأعتقد أن هذه الكتلة القائمة التي تتحرك أمامنا هي نهر الفرات « يتأمل الخريطة التي هي كفه ثم ينزل إلى قرب الشاطيء — الوهمي طبعاً — ويضع أصبعه في الماء ثم يضعها في فمه » وأعتقد أنه مكون من كميات كبيرة من قطرات الندى ...

المقلدة : نعم ... أيها الملاك ...

المقلد : وأنت التي تمشين إلى جوارى اسمك كوروبى كما قلت لك ... وقد خلقك الله بنفسه منذ دقائق ... لأني — وأستطيع أن أؤكد لك — قد رأيته بعيني

وهو يمد يده اليمنى إلى العدم ويحرك أصبعين من يده معاً ، وبين أصبعيه ظهرت أنت ، فأول خطوات لك كانت على راحة يده ...

المقلدة : أتذكر ذلك أيها الملاك ...

المقلد : تذكرى ذلك دائماً . . . لأنك منذ هـــذه اللحظة قد ابتعدت عن الذى خلقك من العـدم وجعلك ترقصين على يديه ...

المقلدة : والآن إلى أين يجب أن أذهب ؟ ...

المقلد : يجب أن تذهبي إلى حيث أنت الآن ... يجب أن تـكونى بين الناس ...

المقلدة : من هم الناس ؟ ...

المقلد : كان يجب أن أخبرك يا عزيزتى ... إننى لست خبيراً ولا عندى أية معلومات كافية عن هذه المرحلة من الخلق ... لقد استمعت إلى محاضرة واحدة فى هذا الموضوع ... وكان ذلك من ألوف السنين ... وتبعاً لهذا ؛ فإننى أعتقد أن الـكائنات البشرية لها شكل مثل

شكلنا نحن ... وأعتقد أنه شكل غير عملى ... ويبدو أنهم مزودون بأعضاء مختلفة عنا ... ولا أعرف بالضبط ماهو الغرض من هذه الأعضاء ... وسأكون سعيداً عندما أسترد صفتى الملائكية قريباً ...

المقلدة : إذن فأنا من الناس؟ ...

المقلد : طبعاً أنت من الناس ... لك نفس الشكل الإنسانى ... وتبعاً لتلك المحاضرة التى سمعتها يتزايد عدد المخلوقات بصورة تعاونية ... بينما أنت خلقك الله من العدم ... ولذلك يجب أن أصفك بأنك كائن غير إنسانى ... فأنت أبدية ، كالعدم تماماً ... ولكنك روحية كالإنسان ...

المقلدة : فما الذى جئت به للبشرية؟ ...

المقلد : لما كنت لم تبلغى من العمر إلا ربع ساعة ، فلن أهتم كثيراً بمثل هذه الأسئلة ... ولكن يجب أن تعلمى أن الفتاة المهذبة لا تسأل كثيراً ... فليس من المفروض أن تأتى بشىء للبشرية دائماً ... على

العكس من ذلك ... لقد جيء بك للبشرية...

المقلدة : لم أفهم ...

المقلد : لقد أمرت بأن أقدمك لأفقر إنسان هنا ...

المقلدة : من واجبي أن أطيعك ...

المقلد : أحقر الناس هم الشحاذون ... وبالتالى فأنت من نصيب واحد اسمه : عاق الشحاذ ... وهو إذا صدقت هـذه الخريطة (ينظر فى كفه) هو آخر شحاذ على ظهر الأرض ... فهو كائن له قيمة أثرية ... حقاً هذه الخريطة رائعة ... مكتوب فيها كل شيء ...

المقلدة : إذا كان الشحاذ عاق هذا هو أحط الناس ، فلا بد أنه تعس ...

المقلد : ما أرق الـكلمات التى نستخدمها ونحن صغار ... فـكل ما خلقه الله هو جميل ... وكل ما هو جميل هو سعيد... وفى كل رحلاتى فى هذا الـكون الواسع لم أصادف ذرة شقية ...

المقلدة : صدقت أيها الملاك ...

المقلد : هنا يوجد منحنى فى نهر الفرات ... وهنا يجب أن ننتظر حتى يجىء الشحاذ عاقى ... سنجلس هنا ونغفو قليلا ... لقد أرهقتنى هذه الرحلة ... وأعتقد أننا ونحن نطوف حول كوكب عطارد مررنا بواحد من أقماره ... تعالى إلى جوارى ولفى ذراعيك حولى ... لقد اعتدت على الشموس بجميع درجات حرارتها ... أما هنا فإنى أكاد أتجمد ... وإن كانت هذه المنطقة ، كما تقول الخريطة ، من أدفأ الأماكن على ظهر الأرض ...

الحاكى : ناما الآن قليلا متقاربين ... نعم هكذا ... لأن ملك بابل سيدخل الآن من ناحية اليمين ... إنه شاب لطيف ساذج ... وحوله حاشيته التى تتكون من رئيس الوزراء ، وقائد الجيش ، وكبير الكهنة ، وجلاد يرتدى الملابس الحمراء ... انهض الآن أيها المقلد اتى وقلد الملك وحاشيته ...

المقلد : « مقلداً ملك بابل » ما دامت تواتى فى الشمال قد وصلت

إلى لبنان ، وفى الجنوب قد بلغت البحر ، وفى الغرب زحفت على الصحراء ، وفى الشرق لامست سلاسل الجبال ، إذن فقد غزوت العالم كله ...

— أنا رئيس الوزراء ، أقول : باسم الحكومة ...

— وأنا كبير الكهنة ، أقول : وباسم الكنيسة ...

— وأنا القائد ، أقول : وباسم الجيش ...

— وأنا الجلاد ، أقول : وباسم العدالة ...

— (ينحنى) ونحن الجميع نهنىء صاحب الجلالة على النظام الجديد الذى وضعه للعالم كله ...

— وأنا الملك ، أقول لقد أمضيت تسعة قرون كشىء يضع عليه الملك نمرود قدميه ... وهذا وضع غير سار ... ولم يكن ذلك هو الهوان الوحيد ... وإنما أمضيت تسعة القرون وأنت يا رئيس وزرائى تبصق خلالها على وجهى كلما جاء لزيارتك أحد من الناس ...

— يا صاحب الجلالة إن الملك نمرود هو الذى

أرغمنى على ذلك ... (وينحنى) ...

الحاكى : « يدق على طبل » هــــذه طبول زنوج تعلن الانتصار على الملك نمرود ...

المقلد : وأنا ملك بابل ، أعلن : أن الملك نمرود قد اعتقل ... وسيصل إلى بابل عند مطلع الفجر ، كما أعلنت الآن طبول الزنوج هذه ، التى أهدتها لنا بلقيس ملكة سبأ ... وسيكون نمرود مداساً لقدمى ، وسأرغمك على البصق فى وجهه يا رئيس وزرائى ...

ــ سمعاً وطاعة يا مولاى ! ... عندما كنت جلالتكم قبل ذلك ملكا ، وكان الملك نمرود مداساً لك كان من واجبى كـ « رئيس وزرائك » أن أبصق على وجهه . . . ولكن عندما أصبح نمرود ملكا ، وجلالتكم مداساً له ، كان لا بد أبصق على وجه جلالتكم . . . أليس من الأفضل أن تعفينى من مهمة البصق هذه ... هذا مطلبى ... وكلما تقدمت به حدث انقلاب فى الوضع ...

— أنا ملك يحب العدل... العدل هو العدل .. ستقوم بواجبك وتبصق... إن هذه الامبراطورية متعفنة إلى أقصى درجة ... ويجب أن لا أدخر وقتاً فى تطهيرها ... والحياة قصيرة ... وكل المشاريع التى فكرت فيها عندما كنت مداساً لنمرود يجب أن أنفذها بسرعة ...

— أذكر جلالتكم بافتتاح ...

— يدهشنى يا رئيس الوزراء أنك تعرف ما يدور فى رأسى ...

— يا صاحب الجلالة ... الملوك على اختلاف درجاتهم يفكرون بصورة إنسانية عندما يكونون فى وضع مهين ...

— تماما يا رئيس الوزراء ، كما حدث أيام الملك نمرود ... فقد ازدهرت الصناعات وتزايد عدد الباعة بالجملة والقطاعى والسماسرة ، وازداد أصحاب البنوك ... والشحاذون زادوا بصورة مخيفة ...

وأنا الآن لا أستطيع أن أتخذ أى إجراء ضد
أصحاب البنوك ... يجب أن أفكر فى الميزانية ...
أما التسول فقد أصدرت مرسوماً بتحريمه ...
هل نفذت مراسيمى ؟ ...

— طبعاً يا مولاى ... لقد حولت جميع الشحاذين
إلى موظفين فى الدولة ... إنهم الآن يجمعون
الضرائب . . . فيما عدا شحاذاً واحداً اسمه :
عاق ... إنه يصر على أن يظل شحاذاً حتى الموت ...

— هل أقنعتموه بحقارة أسلوبه فى الحياة ؟ ...

— عبثاً حاولنا معه ...

— هل جلدتموه ؟ ...

— وبلا رحمة ...

— هل عذبتموه ؟ ...

— لا يوجد مكان فى جسمه لم نوجعه ... لم نقرصه ...
لم نلسعه بالنار ... ولا عظمة واحدة لم ندقها
بالحديد ...

— ولا يزال مصراً على الرفض ؟ ...

— لا شيء يا مولاى يزحزحه عن موقفه ...

— عجيبة يا رئيس الوزراء ! ... ليس أسهل من شنقه ولكن من التواضع أن يحقق حاكم مثلى ما يريده بلا حجة ... لذلك قررت أن أضيع ساعة من وقتى أشارك فيها حياة أحط رعاياى ... ضع على كتفى ملابس الشحاذ التى أتيت فيها من المسرح ...

— أمرك يا صاحب الجلالة ...

— وضع اللحية التى تناسب هذه الأسمال البالية ...

الحاكى : ها هو ذا الملك ... ملك بابل العظيم يقف الآن متنكراً فى ملابس شحاذ ... وسنرى ماذا سيفعل ؟ ... وماذا سيكون من أمره ...

المقلد : نعم ... انظروا الآن جميعاً ماذا فعلت من أجل خلق امبراطورية لا عيب فيها ، من أجل خلق نظام ينسجم فيه الجميع : الملك - الذى هو أنا — والوزير والجلاد

والشحاذ ... كل واحد فى مكانه .. هذا هو الكمال ... لا شىء فيه أزيد من شىء ... لا شىء فيه يخرج عن شىء ... هذا هو الكمال ... لا شىء يتطفل على شىء ... ولكن هذا الشحاذ متطفل ... لقد قررت أن أقنعه بأن يكون موظفاً فى الدولة . وذلك بأن أظهر أمامه بمظهر الشحاذ ، وأن أنافسه لكى يشعر بأن الفقر هو نهايته ... فإذا أصر على أن يبقى فقيراً فسأشنقه ، وأعلقه فى مصباح النور هذا ... ما قولك يا رئيس الوزراء ؟ ..

— إن حكمة جلالتكم تذهلنا ! ...

— أرجوك أن لا تنذهل لشىء لا تفهمه ...

— أمرك يا ملك ...

— والآن انسحبوا جميعاً ... ولا تبتعدوا ... فقد أحتاج إليكم ... لكن بشرط ألا يراكم أحد ...

الحاكى : الجميع ينحنون وينسحبون إلى المؤخرة ... ويجلس الملك فى المقدمة ... على شاطىء نهر الفرات هنا ... وفى هذه

اللحظة يصحو الملاك والفتاة كوروبى هناك حيث
تركناهما ... اذهب أيها المقلداتى إلى جانب الفتاة
حيث كنت الملاك ...

المقلد : نعم ... أنا الآن الملاك ، وأنهض متثائباً بالطبع ... بعد هذا النوم . وقد كنت فى ملابس شحاذ أنا الآخر ... ولى لحية كذلك ... وأنت يا كوروبى ؟ ... كيف حالك الآن ! ... عجباً ... إلى من تنظرين هناك على شاطىء نهر الفرات ؟ ... نعم ... نعم ... هذا إنسان ... أليس كذلك يا كوروبى ؟ ...

المقلدة : حقاً ... وهو يرتدى مثل ملابسك أنت ، وله لحية أيضاً ...

المقلد : إذن لقد قابلنا الرجل الذى نريده يا ابنتى لا شك أنه الشحاذ عاق ، الذى نبحث عنه ...

الحاكى : وينهض الملاك بالطبع ، ويتجه إلى الملك الجالس على شاطىء نهر الفرات هنا ، وهو يحسبه الشحاذ عاق ، الذى هبط مع الفتاة من أجله ...

المقلد : يسعدنى أن أعرف الشحاذ عاق ...

ـــ أنا لست عاق الشحاذ ... أنا شحاذ آخر ...

ـــ شحاذ آخر ؟ ! ... أتسمعين يا كوروبى ؟ ... إذن فالخريطة التى معى خاطئة ... إذن يوجد اثنان من الشحاذين فى العالم ... والخريطة تقول واحد فقط ... إن هذا الشحاذ الثانى قد غير موقفنا كله .. ومن الضرورى أن نكشف الآن أيهما أكثر فقراً ؟ ... هل هو الشحاذ عاق ، أو هذا الشحاذ الذى طلع علينا الآن من حيث لا ندرى ؟ ! ...

الحاكى : وفى هذه اللحظة يظهر الشحاذ عاق ، بملابسه المهلهلة ، ولحيته هو أيضاً ...

المقلدة : أنظر أيها الملاك ... ها هو ذا إنسان آخر ... له نفس الملابس البالية ، وله نفس اللحية ...

المقلد : حتماً يا كوروبى ... وإذا لم يكن هذا هو الشحاذ عاق ... وكان شحاذاً جديداً ، فسنقع فى حيرة هائلة ...

الحاكى : ومن الطبيعى أن يهتم الملك بأمر هذا الشحاذ عاق الذى

ظهر وهو يشرب من زجاجة خمر ... وأن يبادره بالسؤال ليعرف حقيقته ..

المقلد : أنت ولا شك شحاذ بابل : المسمى عاقى ؟ ...

— إنى لا أهتم بالأسماء ...

— ولكن كل إنسان له اسم ...

— من أنت ؟ ...

— أنا ... أنا شحاذ أيضاً ...

— إذن فأنت ردىء جداً ... أراؤك من الناحية الشحاذية خاطئة ... فالشحاذ الحقيقى لاشىء له ... لا اسم ولافلوس ... أى اسم يطلقه على نفسه ... ثم يغير هذا الاسم بنفس السرعة التى يتناول بها قطعة من الخبز ... أنا مثلا أختار ما يعجبنى من الأسماء والأشياء ... أنا كنت كل شىء وأى شىء ... والآن أنا عاقى الشحاذ ... ومن الممكن أن أكون ملكا على بابل ...

— مستحيل ...

— ولم لا ... يا هذا ؟! ... مستحيل أن أكون ملكا ؟! هذا شيء من أسهل الأمور ... إنها أول خدعة تتعلمها فى فن الشحاذة ... لقد كنت ملكا سبع مرات فى حياتى ...

— أنا لا أصدق أنك تعرف شيئاً عن ملك بابل ، ملك الملوك ! ...

— هل تظن أنه عظيم ؟ ! ... إنه إنسان ضئيل الجسم والعقل ...

— أتكذب التماثيل ؟ ... كل التماثيل تدل على أنه وسيم ومحترم ...

— التماثيل ؟ ... ومن الذى صنع هذه التماثيل ؟! ... انهم المثالون فى بابل ... وهم يجعلون أى ملك يبدو كأى ملك آخر ... إذا استطاعوا أن يخدعوك ، فإنهم لا يستطيعون أن يخدعونى أنا ... إنى أعرف ملكنا ... إنه مع الأسف لم يأخذ بنصيحتى ...

— نصيحتك ؟! ...

— إنه يستدعينى إلى قصره عندما يصاب بنوبة جنون ...

— إلى قصره ؟ ! ...

— إنه أغبى ملك عرفته فى حياتى ... إنه يجد صعوبة فى أن يكون ملكا ...

— طبعاً ... إنها مهمة صعبة جداً أن تحكم العالم ...

— هذا بالضبط ما يقوله الملك دائماً ... وكل ملك عرفته يردد نفس العبارة ... إنه العذر الذى يتقدم به الملوك عادة ... فكل إنسان ليس شحاذا فى حاجة إلى عذر يتعلل به ...

الحاكى : وهذا الشحاذ عاقى قد شرب من الزجاجة مرة أخرى والتفت ناظراً إلى الملاك يسأله :

المقلد : من أنت ؟ ...

— أنا ... شحاذ أيضاً ...

— ما اسمك ؟ ...

— إنى من قرية لا تعرف فيها الأسماء بعد ...

— وأين توجد هذه القرية الجميلة ؟ ...

— وراء حدود لبنان ...

— قطعة جميلة ! ... وماذا تريد منى ؟ ...

— الأحوال ساءت بالنسبة إلى الشحاذين فى بلادنا ، لدرجة أنى عاجز عن الحياة ... ثم انى يجب أن أجد طعاماً لابنتى التى تراها واقفة هنا وقد غطت وجهها ...

— الشحاذ الذى يعانى مثل هذه الأزمة لابد أن يكون من الهواة ! ...

— إن نقابة الشحاذين قد دفعت نفقات سفرى إلى هذه البلاد لكى أتعرف على الشحاذ الشهير عاقى ، فأتعلم منه فن الشحاذة ... وأنا أرجوك أن تعلمنى فنوناً أخرى من الشحاذة لكى أصبح شحاذاً ناجحاً ...

— نقابتكم قد أحسنت صنعاً ... فما تزال هناك نقابات عاقلة فى الدنيا ...

— نعم ... نعم ... نقابتنا عاقلة جداً ...

المقلدة : إنك تكذب أيها الملاك ! ...

المقلد : إن السماء لا تكذب يا ابنتى ... ولكن السماء من حين إلى حين تجد صعوبة فى أن تكون مفهومة للبشر ...

الحاكى : ويلتفت الشحاذ عاقى إلى الملك .. ملك بابل ، المتنكر فى أسمال شحاذ ويقول له :

المقلد : وأنت لماذا جئت إلى هنا ؟ ...

— أنا أشهر شحاذ فى مدينة نينوى ...

— وماذا تريد منى ؟ ...

— أريد عكس ما يريد هذا الشحاذ الآخر ، الذى جاء يطلب إليك أن تعلمه فنون الشحاذة ... أنا جئت لأقنعك بأننا لا نستطيع أن نستمر فى الشحاذة ... إننا ولا شك نلفت نظر السائحين ، ونضيف شيئاً إلى سحر الشرق ... ولكن الدنيا تغيرت ... لقد طلع فجر جديد ... ويجب أن نقبل المرسوم الذى أصدره الملك بتحريم الشحاذة ...

— هذا هو رأيك ؟ ...

— نعم ... لا مكان للشحاذين فى عالم اشتراكى ...

— هكذا ! ... هكذا ؟ ...

— نعم ... كل الشحاذين فى نينوى وبابل وحلب قد عدلوا عن هذه المهنة منذ أصدر ملك الملوك مرسومه ... وقد أعطى العمل والخبز للجميع ... إنهم الآن أحسن حالا مما كانوا عليه من قبل ...

— أهذا حقاً صحيح ؟ ! ...

— مؤكد ... ربما بسبب براعتنا نحن الاثنين فى الشحاذة لم نشعر بالضائقة المالية ... ولكن هناك مساكين عاجزين تماماً عن كسب قوت يومهم ... خصوصاً بعد ازدهار التجارة الآن ... ونحن مثلا لم نعد نكسب ، فى الحد الأدنى للأجور ، مرتبات الشعراء مثلا ! ...

— هذا كلام فارغ ! ...

— بل أكيد ... صدقنى ... صدقنى ... ولهذا السبب فإنى ياسيدى العزيز قررت أن أعدل عن الشحاذة

وأن أكون موظفاً فى قصر صاحب الجلالة ...

وأرجوك أن تفعل مثلى ، وأن تقابل وزير المالية فى الثامنة صباحاً ... إنها آخر فرصة لكى ننفذ هذا القانون ... فالملك رجل حساس جداً ... وقد يضطر إلى شنقك فى هذا العمود الذى تستند إليه ...

— وتقول عن نفسك أنك أشهر شحاذ فى نينوى ؟!...

— فعلا ... أنا أشهر شحاذ هناك ...

— ولا تكسب أكثر من الشعراء ؟! ...

— ليس أكثر ...

— لا بد أن هناك خللا فى أسلوبك فى الشحاذة ... إنى وحدى أعول خمسين من شعراء بابل ...

— ربما كانت مكاسب الشعراء فى نينوى أكثر عما يكسبه الشعراء هنا فى بابل ...

— أنت كبير شحاذى نينوى ، وأنا كبير الشحاذين فى بابل ... وطالما تمنيت أن أدخل فى مباراة مع شحاذ آخر ... فلندخل إذن معاً فى مباراة ...

فإذا كسبت أنت المباراة إلتحقنا بالعمل فى الحكومة فى الثامنة من صباح الغد ... وإذا كسبت أنا نستمر فى الشحاذة ، دون أن نهتم بما يهدد صناعتنا من قرارات رسمية ... نحن الآن عند الفجر ... وهذا أسوأ وقت للشحاذين ... لكنها فرصة على كل حال لاختبار قدراتنا ... ما قولك ؟ ...

— قبلت ...

الحاكى : وهنا بالطبع يجد الملاك الموقف طريفاً ومساعداً له على إنجاز مهمته .. ولا يخفى ابتهاجه عن الفتاة التى جاء بها من السماء هدية لأفقر الرجال ...

المقلد : ياعزيزتى الصغيرة هـــذه لحظة تاريخية ... وأنت ستعرفين حالا من سيكون زوجك ... إنه أفقر وأحقر الاثنين ...

المقلدة : وكيف لى أن أعرف ذلك أيها الملاك ؟ ...

المقلد : بسيطة جداً يا ابنتى ... فالذى يخسر فى هـذه المباراة

لا بد أن يكون أفقر الناس وأحقرهم ...

الحاكى : ها هما اثنان من العمال يقدمان من ناحية اليسار ... وقد رآهما الشحاذ عاق ...

المقلد : نعم ... أرى اثنين من العمال مقبلين من الضواحى ... ليس معهما طعام ... وأمامهما ثلاث ساعات من المشى حتى يبلغا مضارب الطوب ... تقدم أنت نحوهما يا شحاذ نينوى ... وابدأ التسول منهما ...

ــ حسنة أيها العامل الشريف ... حسنة لرفيق لكما سقط جريحاً فى مناجم نينوى ...

الحاكى : يبدو أن هذا العامل الذى تقدم إليه لم يقتنع بسؤاله ، بل أجابه بلهجة ساخرة ...

المقلد : العامل الشريف ؟ ! ... لا تتكلم بهذه الحماقة ! ... تطلب منى حسنة فى زمن تستخدم فيه الدولة الجرانيت بدلا من الطوب ؟ ! ...

الحاكى : وها هو ذا رفيقه العامل الثانى يعقب :

المقلد : لأن الجرانيت يعيش إلى الأبد ...

الحاكى : والآن جاء دور الشحاذ عاق فى مباراة التسول ... إنه يواجه العاملين بقدم ثابتة :

المقلد : قرش من كل واحد منكما ... إننا نحاول المستحيل لكى نعيش ... قولا لأصحاب مضارب الطوب أن يذهبوا إلى جهنم ... اعطونى قرشاً ... إننى أحد أبناء الطبقة العاملة التى تفضل الشحاذة على أن يستغلها أى إنسان آخر ...

الحاكى : لقد صادف هذا القول من الشحاذ عاق هوى فى نفس العاملين ، فأعطاه كل منهما قرشاً ، ومضيا إلى عملهما ... وها هو الشحاذ عاق يمسك بالقرشين ويطوحهما فى الهواء ...

المقلد : لقد كسبت الجولة الأولى ! ...

. . . .

. . . .

رقم الإيداع : ١٩٨١/٤٨٥٤
الترقيم الدولى : ISBN — ٩٧٧ — ٧٢٩٤ — ٢٠ — ٤


قرش جنيه
2
5